

سعاد تدق الأجراس

قصص قصيرة

محمد نبيل الخربوطلى

اسم الكتاب	سعاد تدق الأجراس (مجموعة قصصية)
المؤلف	محمد نبيل الخربوطلى
دار النشر	دار سما للنشر والتوزيع
التليفون	٠١٢٨٤٣١٨٤٤ - ٠١١١٣٠٦٨٤٠٩ - ٠١١١٩٥٧٨٤٢٧
الطبعة	الأولى
العنوان	٣١ ش الإمام - جيزة - جمهورية مصر العربية
رقم الإيداع	٢٠١٤ - ٩٢٦٨
التقييم الدولى	٦ - ٠٩ - ٦٣٧٤ - ٩٧٧ - ٩٧٨

جميع الحقوق محفوظة للناشر ولا يسمح بنسخ
الكتاب أو جزء منه بأي طريقة كانت ورقية أو
إلكترونية إلا بإذن كتابي من الناشر

مُحْفَوظٌ
بِجَمِيعِ حَقُوقِ



التسويق والإخراج الفنى: المكتب العربى لخدمة الكتاب والتراث

٠١١٤٥٣٢١٣٨٧ - ٠١٢٢٠٣٧٨١٣٥ - ٠١١١٥٧٤٢٣٠٣

سعاد تدق الأجراس

قصص قصيرة

بقلم: صيدلى

محمد نبيل الخربوطلى

عدد القصص (٨)

obeikandi.com

(١)

أوراق العمر

انطلق صوت المنبه رتيباً حاداً.. كالصاعقة هوت يده على المنبه فأسكته على الفور... حيثاً أخذتا عيناه تتفتحان، ليرى الحجرة من وراء ضباب، كثيف لم يكن في حاجة إلى النظر إلى المنبه فانطلق الجرس الملعون يعنى أن الساعة السابعة صباحاً...

كالعادة مكث بالسرير خمسة دقائق بين الذهول والنوم والاستيقاظ، نهض بعد أن استجمع قواه ليرفع جسده الثقيل... جلس يفرك عيناه، يهز رأسه كالبن دول علّه يستفيق ولكنه كان يعلم أنه لا يستفيق إلا بالماء البارد..

بحثت قدماه عن الشبشب.. وجدتهما في صعوبة.. قام تثناء.. في خمسة خطوات كان ينتقل من حجرة النوم إلى الصالة.. تلوى مع انحناءات الطريق بين الكراسي والمنضدة حتى وصل إلى

الحمام.. خلع ملابسه والقى بجسده تحت الماء البارد.. شهق عدة شهقات إثر ارتواء جسده بالماء، ساعتها بدأ دبيب الحياة ينتشر في أوصاله.. ارتدى ملابسه الداخلية فقط وفي خطوات سريعة ولج حجرة النوم.. مرة أخرى.. إرتدى.. قميصاً أصفر واختاره من بين الخمس قمصان المعلق في الدولاب الخشبي الضخم.. ووصل ملابسه بالبنطلون الأسود الذي تحمله سنتين دون كلل.

في حركة بهلوانية فرش سجادة الصلاة ونقر نقرتين ثم ملمم السجادة وأودعها موضعها في عمق الحجرة ولاذ بالصمت.

كان عليه أن يهبط أربعين درجة حتى يصل إلى قلب الحارة.. فعلها ببطء فقد كان يتمنى أن يسعده الحظ ويرى مدام فاتن التي لقبها بمدام فاتن الفاتنة، وهي موظفة وتخرج في موعده ويراهها مرة أو مرتين في الأسبوع وساعتها يسלט عينيه على ساقها الناعمتين المصبوبتين فهو لا يحب في المرأة إلا السيقان ويدعى أنه أكثر رجلاً فهِماً لسيقان المرأة على مستوى العالم.. باءت محاولة لرؤية مدام فاتن بالفشل، وكان هذا جديراً بتعكير مزاجه طوال الصباح..

دق الأرض مشياً في حارته العريضة التي عاش بها أربعة عقود

متواصلة وهو إذ يمرق فإنه يمرق على تل من معرفة دقيقة لكل ما يدور في بيوت حارته الصغيرة.. فهو شديد المتابعة لأخبار الزيجات التي تتم باستمرار إذ أنه محروم من الزواج لضيق ذات اليد.. وكما يحب، انتهز الفرصة لرؤية مدام فاتن على درجات السلم، فهو يحب انتهاز الفرص لرؤية نساء الحارة وهن يلقين النظر على نهر الطريق فتتدلى الأثداء وساعتها يقتنص الفرصة ويقطف نظرة تقع على صدر عارى قد فارق فتدلى كنعاقيد العنب الأحمر.. ولكن كل هذا.. وإن كان يؤديه لرغبته المحمومة... لا يمتعه بقدر ما تمتعه مدام فاتن ذات الساقين الجميلتين، تلکم الساقين اللذين يعتبرهما أجمل ساقين في مصر، لهذا فمدام فاتن هي عروس أحلامه الجسدية على طول الخط..

ووصل إلى المحطة، وفي لمح البصر حدد الهدف. غزال رشيق يقف بمفرده في آخر المحطة وعلى الفور اشتعلت قرون استشعار رغبته المتوهجة دائماً، وما أن أشتعلت حتى جرت قدميه إلى الغزال الوحيد.. وحثيثاً وصل إليها.. دار حولها وكالعادة إستقر خلفها.. كانت ترتدى ثوباً من قطعتين لم يهتم بالصدر وإنما غرس عينيه

في الساقين ولكن لسوء حظه كان الرداء طويلاً... بعد برهة أخذت تتململ وقد ظهرت بوادر الخوف والاضطراب على وجهها، حاول أن يطمئنها بأن تحرك دائراً حولها.. التفتت إليه.. نظرت إليه في ازدراء وقالت (قلة أدب). ثم تركت المحطة وسارت في قوة في اتجاه عربة أجرة نادت إليها في استغاثة...

صُعق فهذه أول مرة توجه إليه مثل هذه الإهانة.. إن له خبرة عقدين من الزمان في التسكع حول النساء.. وفي إبداء الرغبة العارمة تجاههن ولكن إحداهن لم تجرؤ على إهانته مثل هذه المرة.. أرجع كل ذلك إلى فرط شوقه إلى مدام فاتن فهو الأسبوع يمضي ولم يرها حتى الآن مرة واحدة.. ومدام فاتن هي التي ترويه من حين لآخر.. ولكن صدى الإهانة لم يخمد بداخله وردد (هل أنا قليل الأدب)..؟

صب لعناته على كل شيء... على الفقر وعلى العالم، بل على العالم كله.. على راتبه الذي يكفيه بالكاد وغمم أنه يعيش على حافة الحياة على القوى العاملة التي أودعته عملاً لا يحبه في مجلس الحى...

ثم هتف في نفسه وهو يتحسس شاربه الكث المزدان بشعر
 فضى بدأ يزحف عليه في بطاء (لا شك أنها لا تعرفنى.. أننى رغم
 رغبتى العنيفة إلا أننى لا أعرف الزنا..) ثم هتف من أعماقه والزنا
 حرام بابنت الكلب... لاشك أنها اعتقدت أننى أريد صيدها..
 لم تفهمنى... لقد رفضت مضاجعة آنسة فريال الموظفة الجديدة
 فى الحى، ورفضت مضاجعة سوسن بنت صاحبة البيت، ورفضت
 مضاجعة كثيرات ممن أشتهيهن نظرياً على قارعة الطريق، ولم تهدأ
 ثورته إلا بعد أن ظهر الأوتوبيس القادم كالوحش الأحمر..
 وكالعادة رمق موضع النساء فزج بنفسه وسطهن عله يتمتع
 وسط الزحام بشيء من سمنتهن، التى تتحول فى ازدحام الأوتوبيس
 إلى مادة متعة شديدة الطراوة، وبالفعل نجح فى غرس نفسه بين
 سيدتين فغاص فيهما وغاصتا فيه، لم يبد قلقاً وأبديتا سعادة ونشوة.
 هنا قارن بين الذكرى التى مرت عليه منذ دقائق وبين الغير
 ممتنعات وهنا أرجع عنف الفتاة معه إلى شيء واحد (إنها قبيحة).
 ظل الاحتكاك بينه وبين السمنتين ربع الساعة هى وقت
 وصوله إلى مكان عمله ورغم أنه يستطيع الذهاب إليه سيراً على

الأقدام إلا أنه يذهب إليه عبر الاتوبيس فهو يعتبر الأتوبيس هو قدس الأقداس الجسدى، إذ يتمتع به باحتكاكات ساذجة يستخدمها مادة أحلامه عندما يعود ليلاً إلى مثواه، وهو قدس الأقداس الذى يعوضه عن اللقاء الجسدى فى بيوت الدعارة، إذ أنه لا يزال يردد (كله إلا الزنا..) وفى أخرى يردد (والله غفور رحيم)..

فى لحظة خاطفة ودع السمينتين بنظرة لهفة واقتلع نفسه من الوضع العبقري.. والذى كان يجيد اتخاذه دائماً.. بينهما ليتركه لآخر انتهز الفرصة فاقتنص الموضوع على الفور فلاحقه بنظرة حقد شديدة. دلف إلى بائع الجرائد واشترى الأهرام، وهو لا يعرف لماذا يصر على الأهرام ولكنها عادة تمكنت منه مثلما تمكن منه الاتوتوبيس.. ففى كل مسار يندم على شيئين ركوب الاتوبيس وضياع خمسين قرشاً عزيزة فى الصحيفة..

تأبط الجريدة.. أولج يديه فى جيبه وسار خطواته الواثقة نحو مكتبه وقبل أن يصل إليه أصدر أوامره إلى الساعى (رغيفان فول وكوب شاي) وبسرعة..

دار فى ملح البصر على أزياء زميلاته فى مجلس الحى وبخاصة

زميلاته في حجرته فانتشى وهتف (العمل اليوم دسم...)
أخيراً وصل إلى مكتبه.. أودع الصحيفة وجه المكتب الخشن..
جلس في هدوء وقد أطلق زفرة صاعدة..
دخلت فريال
صباح الخير
لم يرد في بادئ الأمر بل أخذ بردائها القصير وساقها الجميلتين..
نظرت إليه نظرة أنوثة طاغية يسعرها رغبة محمومة وبادلها نظرة
رغبة مكظومة.. وفي صوت ضعيف قالها: صباح الخير..
ضحكت فريال ضحكة ذات معنى، أَلقت حقيبتها الجلدية في
دلج وجلست تواجهه ضاحكة..
كان يريد الهروب من عينيها.. كانت نظرتها إليه كأنها تعايره
كأنها تهتف (يا عنيه)
فرد الصحيفة أمامه ودس وجهه بين أوراقها وهتف في أعماقه منحلة..
لاحقته بضحكة رقيقة ضعيفة وصلته لتحرق ذكورته وهنا رفع
صوته كأنه يريد أن يجرها (مشروع توشكى هذا مشروع عظيم)
ضحكت ضحكتها الرقيقة الخافتة مرة أخرى وقالت (مشروع

عظيم جدا)

- تصورى سيزيد رقعة مصر الزراعية ويوفر آلاف الفرص للعماله.
- واللاهى؟
- وشرق التفریعة أيضاً.. مشروع حضارى عظیم
- نصیحتى إلیك.. لا تقرأ الصحائف.. القراءة بتبرد المخ.
- صمت برهه وهو لا یدرى ماذا یقول، هنا أسعفه الساعى
(أحلى إفتار)..
- انتھز الفرصه لیغیر مجرى الحدیث، فقال لها وهو یأكل بنهم.
تفضلى الفطار.
ردت علیه بكلمة واحده..
- رجیم
- ثم قامت خارج الحجره.
- أما هو فقد جفف حبات العرق التى تناثرت على جبهته..
أطلق زفرة حاره.. (مدام فاتن أحلى یا فریال...)
- بعد دقائق كانت المكاتب عامرة بموظفیهها وقد تناول كل
منهم ملفاته یعمل بها حیناً ویسامر بها آخراً.. أما هو فقد قرر

عدم العمل اليوم فالصيد ثمين، هذه فريال بزيبها القصير وهذه سميرة ببنطلونها الضيق وهذه حمدية وقد تدلى ثديها الضخم.. هذا بالإضافة إلى الجمهور الذي فيه ما لذ وطاب.. لقد صدمته فريال في بداية اليوم وأزادت من توهج رغبته المشتعلة على الدوام، ولعل هذه الصدمة مع صدمة الغزال الشارد قبل صعوده للأوتوبيس هما اللتان غيرتا حالته المزاجية فأرجعت فكرة الزواج تلح على نفسه.. لم يكن معجباً بهذه الثورة الجسدية التي تأخذ يوماً لتحتويه تماماً وتلقيه آخر اليوم جثة هامدة...
وكم مرة حاول أن يهدئ من ولعه الجسدى أو أن يوقف غرس عينيه في كل أنثى يراها ولكنه فشل تماماً..
دارت أفكاره في رأسه حتى وصلت إلى ركن المال في حياته.. كان يستطيع أن يكون ثرياً فهو يعمل في مجلس الحى وإمضاءاته تستطيع أن تحوله إلى ثرى ولكن تربيته ومعرفته بالله كانتا تقفان حائلاً أمامه يهتف دائماً (كله إلا الغش ومن غشنا فليس منا) ورغم أنه لم يكن يصلى اللهم إلا نقرتى الصبح إلا أنه كان يضع حدوداً لحياته منبعا كلمتين (الله موجود)

وهذه العقيدة هي التي أسلمته إلى حقيقة الجنة والنار وهنا كان يهتف (لا أستطيع أن أتحمل النار في الدنيا وفي الآخرة) وهكذا كانت فاتن وفريال تفجران به بركاناً من الرغبة لا يطفئها إلا عودته مساءً إلى البيت.

ولكن على ما يبدو أن سحر فريال كان قوياً اليوم.. كان مكتبها يقابل مكتبه تماماً ومن فتحة المكتب رأى الأهوال منها... وبين لحظة وأخرى كان يدفع رأسه في الصحيفة تقرأ سطوراً لا يعرف معناها ثم يعود يغمس في عينيه في كل ما ظهر من جسد فريال وما ظهر منه كان ما يصيبه منها الزوج في حجرة النوم.. هتف من أعماقه بعد أن أبعثت فيه ذكرياته مع سيقان مدام فاتن (يا بنت الكلب) أدرك أن فريال تشن هجومها عليه، فهي تعلم أن جسدها العارى يحوله إلى جمر وكانت من ثم تريد استفزازه وإثارته وإغرائه إلى أقصى درجة والحرب بينهما كانت على أشدها.. تهجم ويدافع.. تغرى ويتجاهل ولكن اليوم لم يكن ككل يوم.. كانت الإثارة في ذروتها وقد فت في عضده ذكرياته في قدس الأقداس.. دفعتة رغبته إلى مواجهة فريال.. دس نفسه في حديثه

الساذج مع الموظفين بقصد إثارة اهتمامها... وبالفعل نجح أن ينفرد بنظرة منها ساعتها غمز بعينه إليها، اكتسحتها المفاجأة.. ضحكت بادلته الغمز.. أخذت تواءملاً من الملفات المكدسة على مكتبها وقامت.. إليه فقد كانت تريد انتهاز الفرصة، وعندما اقتربت منه قالت: تعالی خلفي.

بعد خمسة دقائق كانا يتحدثان في البهو الرئيسي

- ماذا تريد؟

- شل السؤال تفكيره.. إنه وجهاً لوجه مع فريال.. صارعته

الفكرة الراسخة في أعماقه (الله موجود) فكرة فريال.. تلعثم..

أما هي فقد أرجعت تمنعه عنها إلى الخجل لهذا أرادت أن

تستميله ببطء.

- لماذا لم تحلق ذقنك اليوم؟

أخذه السؤال الثاني مرة أخرى.. تحسس خديه

- نعم.. عندك حق.

- أنت وسيم وأنت حليق.

- بعد برهة / أشرك.

- ماذا تريد لماذا غمزت لى يا شقى؟
 ومرة أخرى يأخذه التلعثم اكتسته موجة خجل باردة ألقته به
 من قمة إثارته إلى حضيض الارتواء.
 كان رسوخ العقيدة شديداً ولعل هذه العقيدة هى التى بعثت
 بهذا الخجل الذى أوصله إلى الارتواء..
 عاود احتقاره لفريال واحتقاره إلى كل من يرتشون من حوله..
 هتف (نعم أنا مخطئ فى ثورتي الجسدية ولكنى شريف ونظيف..
 نعم أنا أحب النساء ولكنى لم أقرب الحرام.. نعم أنا فقير
 ولكنى لم أقرب الحرام... نعم أنا فقير ولكنى أحترم نفسى... نعم أنا
 أعانى ولكنى لست سارقاً أو غشاشاً..
 نعم.. أنا احترق لحظياً ولكنى لن أحترق فى الآخرة..
 كان عليه الآن أن يتخلص من هذا الموقف..
 -فريال
 - نعم
 - أريدك أن تقرضينى خمسين جنيهاً.
 - هل هذا ما تريد..؟

- نعم..

أخذها الغيظ.. نظرت إليه نظرة ازدراء وقالت في صوت مكظوم:
- أنت وقح.. ثم سارت دالفة إلى المكتب...
أطلق زفرة حادة (كلبة.. مجرد كلبة) عاد إلى مكتبه يقرأ
الجريدة وقد شعر لأول مرة أنها ذات قيمة له..
انتهى عمله اليومى بأن أتم الجريدة قراءة.. ترك الجريدة على
وجه مكتبه كالعادة وهروا إلى الأوتوبيس...
وكالعادة استطاع أن يزج بنفسه وسط النساء والله غفور رحيم.
كانت سعادته اليوم عظيمة فقد كان صيد الرجوع بالأتوبيس لا
يقبل دسامة عن الذهاب حتى أنه لم ينزل في محطته بل آثر الركون
إلى أن هبطت السيدة التي أولته ظهرها بعد محطته بثلاث محطات..
داهمه الجوع فقد كانت انفعالاته اليوم كثيرة.. تذكر أن الطعام
الذي ينتظره بالبيت ليس شهياً فهو لا يجيد الطهو رغم انه يطهو
منذ عقد أى منذ انتقلت والدته إلى الرفيق الأعلى إلا أن طهوه رديئاً،
وعلى الفور توجه إلى محله الخاص الذى يلتهم فيه الكشرى...
ضخ بالكشرى نصف زجاجة الشطة كان يعلم أن الشطة

مثيرة للاحتقان وهو يبحث عن الإثارة بشغف.. التهم طبقين من الكشرى.. تجشأ فطاردت أنفه رائحة الشطة والخل والثوم..
لكمه الطعام فأخذ النوم يداعبه خاصة بعد أن مشى كثيراً بعد موقعة الرجوع في الأوتوبيس...

هكذا هدأت نظراته إلى من حوله من المارات ولج إلى حارته الصغيرة وفي لمحة خاطفة لمح كل المنتصبات في النوافذ...
(لا جديد تحت الشمس.. الأنداء هي لا تتغير.. شيء ممل)
صعد الدرجات الأربعين وتثاقل أمام شقة حبيبة أحلامه مدام فاتن.. وصل سمعه أصداء صياحها على أولادها.. تخيل صوتها يشجو في لقاء معها.. وقف لحظات يستمع إلى صوتها ولكن ما لبث أن استفاق فأخذ يصعد في تثاقل حتى وصل إلى الباب.. دلف إلى الصالة.. جلس على أحد الكراسي المتواضعة.. دلف بنظرته إلى أعماق الصالة.. تلك التي ورث محتوياتها عن أمه وأبيه.. تلاقى نظرتيه بصورة أمه المعلقة أمامه.. نظر إليها كأنه يسألها لماذا أجلبتيني إلى هذا العالم يا أمه.

لماذا ربتيني حتى وصلت إلى الجامعة حيث أحببت حباً فاشلاً
ما لبث أن اندثر بعد الجامعة؟

لماذا أصررت أن أكون جامعيّاً؟ هل لأتحول إلى ملفس كبير؟
هل لأتحول إلى عنصر من عناصر الموظفين في الأرض؟
ضحك ضحكة واهنة بينما ينظر إلى أبيه الأنيق في صورته..
تذكر أباه الموظف الكبير بوزارة المالية.. تذكر المصروف الزهيد
الذي تعود عليه منذ الصغر.. موظف ابن موظف.. هكذا لخص
قصته في الدنيا.. ولكنه رغم ما يعانيه إلا أنه كان سعيداً بهما..
كان ينظر إليهما بفخار فد غرسا به ما يعتقد أنه يقيم به أوده
(طهارته)، ترحم عليهما.. قام في هدوء إلى حجرة النوم.. خلع
قميصه والبنطلون ضبط المنبه ليقوم الساعة السادسة... أخذ
وسادة وغرسها بين رجليه.. وراح في سبات عميق...

هوى بيده على المنبه.. اغتسل... ارتدى نفس القميص
والبنطلون أسرع إلى القهوة..

اتخذ مقعداً لا يقل براعة في موضعه عن تلك المواضع التي

يأخذها بين النساء في الاتوبيس استغل تأخر زميله في القهوة عن
الحضور وراح يرشف الشاي مع المرور على جسد السائرات وفي كل
اتجاه خاصة سيقانهن..

وأخيراً جاء زميله.. لم يتخل عن مقعده... فتحا الطاولة وبدأ
اللعب.. كان الصيد الليلة كثيف مما أدهشه.. فساق هنا وهناك
وثدى معلق هناك.. وفتاة في عمر البلوغ تجلس أمامه مع صديقها
وقد ارتدت رداءً ضيقاً احتار كيف ارتدته من فرط ضيقه وفي
لحظات عاش حلاًماً وردياً مع تلك الفتاة فخره في الطاولة..
كان صوت أم كلثوم يبعث الدفء في أنحاء القهوة رغم أن
الصوت كان منخفضاً، ولعب الغناء معه في أحلامه معها..

وبعد ساعة من الأحلام.. ضم زميله شقا الطاولة

- لا، أنت الليلة في عالم آخر

- هل رأيت أجمل من هذه الفتاة من قبل؟

- يا رجل.. اعقل انها في سن أولادك.

- الأحلام ليست لها سن يا مغفل

- قلت لك تزوج

- وألف مرة قلت لك لو كان الفقر رجلاً لقتلته

- وهنا قامت الفتاة.. أطلق زفرة حارة

- ألف خسارة

انتهى وقت القهوة في تمام الثانية عشرة وهكذا أصبح عليه أن يغادرها.. زميله مضى منذ ساعة إلى زوجته أما هو فقد جلس الساعة بمفرده وقد راح يستمر في مهمته المستمرة ألا وهي مراقبة سيقان السائرات وبكل عناية.. ثم يمزح من هذه الرؤية بأحلام جسدية بين الحين والآخر.. وبدأ رحلة العودة..

كانت الطرق في مثل هذه الأوقات قليلة المارة كثيرة الساقطات وكان يلاحظ كل شيء في هدوء عجيب وكانت تمتعته في أن يلقي نظرة استجابة إلى ساقطة فما تلبث أن تستجيب وساعتها يصدها في قسوة كأنه يؤكد لنفسه أنه مازال قوياً.. ومرة أخرى يدلف إلى قلب حارته ويعبرها وقد زكمت أنفه رائحة العطور ومن ثم يلتهب

خياله ويطلق زفرته الحارة.. صعد الدرجات الأربعين وكالعادة وقف أمام شقتها ولاحظ أن الشقة تعوم في الظلام وأدرك أنها قد دخلت حجرة النوم وساعتها أطلق كلمته الشهيرة.. يا ولاد الكلب ومع دخوله شقته في نهاية اليوم كان عليه أن يؤدي المهمة الأخيرة في يومه فقد كان عليه أن يتخلص من جنون رغبته المتواصل ومن مادة أحلامه الملتهبة ومن آثار قدس أقداسه.. كانت المهمة الأخيرة هي أن يحلم بلقاء مع مدام فاتن صاحبة أجمل سيقان في مصر وينتهي هذا اللقاء الحالم بتلك العادة التي احتوته واحتواها..

ساعتها يطلق زفرته الحارة وتكتسحه أمارات الارتواء والبرود.. ساعتها يحترق الجسد والسيقان والمرأة والرغبة ومام فاتن وأيضاً فريال.. وساعتها يحمد الله أنه لم ينساق إلى المحارم.. كانت هذه العادة التي أدمنها تنقله من عالم الرغبة إلى عالم يزهده فيه بكل شيء.. وعندما انتهى من المهمة الأخيرة صدم وجهه بتيار من الماء البارد فاستفاق قليلاً.. اتجه إلى النتيجة الورقية المعلقة أمام سريره.. انتزع إحدى ورقاتها وتركها لتلتقى مع نظيراتها الملقيات

أرضاً... صاح بينما يمر بيده على كرشه الناتئ وشعره الذي بدأ
يكتسى باللون الفضي صاح (هكذا تسقط أوراق العمر).. (هكذا
تمضى أيام العمر).. أعاد ضبط المنبه ليعث جرسه في تمام الساعة
صباحاً، وفي تمام الساعة صباحاً..

انطلق صوت المنبه رتيباً حاداً.. وكالصاعقة هوت يده على
المنبه فأسكته على الفور.. حثيثاً أخذتا عيناه تتفتحان ليرى الحجرة
من وراء ضباب كثيف.. لم يكن في حاجة إلى النظر إلى المنبه فانطلاق
الجرس الملعون يعنى أن.....

(٢)

الكومبارس

وجاءت اللحظة التي كان يتمناها كل ليلة، ليلة تحية الجماهير. كان التصفيق يبعثه من جديد ولم لا وهو عاشق المسرح ومنذ نعومة أظافره.. وهو نفس التصفيق الذي يخفف آلام كونه مجرد كومبارس في فرقة مسرحية حيث آلامه وآلامه النفسية وآلام مؤخرته التي يُضرب عليها يومياً بالعصا فتتنساب الضحكات.. إنه يعلم أن قصة حبه للفن لم تجعل منه سوى مهرجاً، فقد فشل في أن يكون نجماً كما كانت تقوده أحلامه.

ومضت الومضة وانتهت تحيته، وأقبلت الراقصة البتلة لينهال التصفيق ثم أقبل البطل الذي يضربه كل يوم لينهال التصفيق مرة أخرى، ثم يسدل الستار ويذهب الجميع إلى حال سبيله. ولكن الليلة لم تكن ككل ليلة فقد بالغ البطل في ضربه وآلمته مؤخرته ألماً شديداً.. وكأن الألم أبعث الحزن داخله وجدد فيه

مشاعر الرفض لما هو فيه من مهانة..

أخذته على غرة رياح بارده فور خروجه من المسرح دمعت عيناه.. لاحظ عشرات المعجبين يلتفون حول البطل ليهنأوا بكلمة منه في أوتوجراف.

نالت منه نظرات التجاهل، أدار وجهه شطر طريقه، أطلق زفره حارة حزينة.. أخرج مفتاح سيارته الصغيرة وكالعادة لم تدور السيارة.. كان يعلم أن قصة كل يوم ستحدث.. هتف بأسماء بعض عمال المسرح.. رفعوا السيارة عدة أمتار.. دارت، ودار معها خلده. دار شريط حياته أمام زجاج السيارة المندى.. أبوه رجل الأزهر وإمام المسجد كان حلمه أن يخلفه في المشيخة ولكن حبه للفن كان طاغياً، فاكتمسح رغبة أبيه وشغله عن دراسته حتى تخرج من إحدى المدارس الفنية المتوسطة. تساءل ألم تكن رغبة أبي أجل أليس الأزهر أجدي من مجرد كومبارس تُضرب مؤخرته يومياً لإضحاك الناس؟ ترحم على أبيه ولكنه عاود اليقين لحبه للفن..

تذكر حبه الكبير الذي ولد منذ صباه لزوجس جارتة وكيف عاش هذا الحب السنوات الطويلة دون أن يموت، ذاك الحب الذي

ثمّ بالزواج ولما جاءت محطة الزواج اعتصره الألم فقد تذكر شيئاً
 كاد أن ينساه، تذكر أنه لا ينبغي وتذكر كيف تمسكت به نرجس
 رغم عقمه، تذكر الحب الكبير الذى أصبح الابن لديهما.. وتذكر أن
 القدر قد أعطاه الولد بأن تطوع أن يربي ابن أخيه سالم بعد أن ماتا
 أبوه وأمه في حادث سيارة..

تذكر كيف سهر على تربية سالم حتى خرج من كلية الزراعة
 منذ عدة سنوات..

كانت ابتسامة سالم تعنى له حصاد العمر وتعنى له ذلك
 التخفيف الهائل لآلامه التى احتوته على أثر العقم والفشل الفنى..
 وتذكر صدمته الكبرى فى مقبل عمره على أثر هزيمة ١٩٦٧
 تلك الهزيمة التى اقتلعت من جذوره وقصمت الثورة فى داخله..

تذكر كيف أنه خرج مع أبيه بعد التنحى إلى الشارع صارخاً.. سنحارب
 تذكر احتضان أبيه له وهو يردد هذه مشيئة الله يا بني
 ولكنه فى ذلك الوقت أدرك أن انحراف الثورة كان سبباً فى
 النكسة ولكن النكسة لا تعنى أن نقتل زعماءنا أو أن نتقبل التنحى.
 لهذا فقد انطلق فى شوارع القاهرة باكياً صارخاً.. لا لا تتنحى

سنقاتل. سنقاتل.. كان ينادى عبد الناصر من أعماقه وكيف لا وهو الكاريزما التي اخذت مصر إلى العالمية. كان يناديه بأن يستمر لأن عمر مصر سبعون قرناً بينما عدوها الأغبر لم يولد بعد بحكم التاريخ.. كانت الشوارع في هذه اللحظة من الليل خالية من المارة فانطلق بذكرياته المتواثمة بآلام مؤخرته بينما المساحة تطيح بقطرات المطر البسيط الهاوى على نافذة السيارة.. كان ساعتها يعلو كوبرى ٦ أكتوبر.. وما أن اعتلاه حتى تذكر ذلك الشيء الذى يعتز به ويعتبره ذروة سنام حياته، إنه وأن كان عقيماً وإن كان كومبارس ولكنه كان جندياً ممن عبروا قناة السويس في حرب رمضان.. أطلق زفرة حزينة وابتسامة باهتة.. تذكر الحرب والعبور والقتال وخط بارليف والمدفعية والطيران والدبابات، تذكر لحظات رفع العلم على سيناء وتذكر ذلك النداء المدوى الذى اهتزت له أركان سيناء الله أكبر.

تذكر كيف كان يصر على أنه من جيل أكتوبر وليس من جيل النكسة وتذكر بعدها أنه خرج إلى العالم بعد الحرب يحلم بالحب والفن. كان كل شيء بعد الحرب يناديه... الانتصار الذى صنعه مع

الآلاف كان يناديه بأن يعطى أكثر فالجبهة كانت تطالب بمزيد من التضحيات والجبهة الداخلية كانت تتلململ بعد موت الزعيم الخالد وبعد العبور.. كان المجتمع يتطلع الحياة الأفضل بعيداً عن الشعارات التي سقطت مع النكسة.. كانت مصر متوهجة مستعدة أن تواجه العالم أجمع وتحارب العالم أجمع لفرض كلمتها مرة أخرى.. كان هذا إلتقاء الطموح الوطني مع طموحه في حياته. تزوج بعد خروجه من الخدمة العسكرية مباشرة وقد طار في علياء حياته بجناح الحب وجناح النصر... ولكن العقم طارده حتى في أحلامه... ولم ينفذه من هذا الجذب إلا تولية تربية ابن أخيه.. أن سالم يعنى له الخصوبة الرسالة الابن، الحب، التربية..

ومع الأيام كانت أحلامه بأن يكون نجماً مسرحياً تتضاءل، إنه مصمم أنه موهبه فنية كبيرة ولكن الحظ كان يعانده.. إنه يتذكر تماما بداية الأفول له.. كانت زيارة مصر للقدس هي بداية الأفول.. كان النصر الذي حلق به عالياً ينهار يتحول إلى رماد، خرج إلى الشوارع بنفس الحماس الذي خرج به في يوم التنحي خرج ليقولها بأعلى صوته.. لا. خرج يحمل بين يديه أكفان كل من استشهدوا

في الحروب السابقة.. كان يصرخ وكل مشاهد الحرب ماثلة أمام عينيه كان يلعن الضعف والانكفاء والهزيمة، كان يعلن أن الأمة تستطيع أن تسير في طريقها إلى النهاية، وأن الأمة تستطيع أن تحارب عشرات الحروب القادمة وأن الأمة عن بكرة أبيها تريد الاستشهاد مع الكرامة ولا تريد الحياة مع الذل إنه يتذكر تماماً هذا اليوم يوم أن استسلمت مصر ويذكر أن هذا هو اليوم الذي بدأ معه الانهيار الشامل لحياته... أضحى كل شيء بلا طعم.. لم يعد هناك موطن للنضال أو الكرامة أو التضحية.. فقد مذاق الحياة ومع الأيام تحول إلى كومبارس حزين في بعض الأيام فيلسوف وفي بعضها مفلس وفي آخرها جندي كسير يحمل الراية وحده في محيط بائس لا يعرف ماذا يريد.. ولكن سالم كان البلسم لكل أمراضه.. لقد رباه على ضراوة المقاومة والثقافة الرفيعة، إذ أنفق على مكتبته في الدار مئات الجنيهات وبالفعل خرج بالدنيا بسالم المهندس الزراعي المثقف.

وصل إلى الدار.. أوقف محرك السيارة، استمتع لحظات بهدوء ما قبل الفجر، تحسس مؤخرته، تأوه اعتصرت ملامحه روح الغضب

المكبوت.. خرج من السيارة الصغيرة.. لاحظ على غير العادة أن مصباح حجرة سالم مضاء لعل سالم ينتظره، إعتقد أن الأمر قد يكون لخطوبته من نجلاء جارته والتي علم بفراسته أن سالم يحبها وأنها تحبه..

هنأ نفسه بهذا الموضوع فهذه فرحته الكبرى يوم أن يكون سالم زوجاً وينجب ولداً يسميه باسمه، ربما يكون هذا الاسم والابن امتدادا له وهو الذي لا امتدادا له..

ولج إلى منزله، وكما توقع وجد سالم في إنتظاره.. ولج إليه، لاحظ علامات القلق تعتصره.. سأله على الفور ماذا بك؟

لم يجب سالم على الفور وإنما أمعن النظر فيه وقال في نبرة حزينة انتظرك منذ ثلاثة ساعات.
إلى هذا الحد الأمر مهم؟

- نعم.

- ما هو؟

- أنني أسعى إلى السفر منذ أعوام.

- بعد تخرجك مباشرة كنت تود الذهاب إلى كندا.

- ولكنى فشلت.. أنا مجرد مهندس زراعى وفى كندا لا يحتاجون
إلى أمثالي
- لقد تناقشنا فى هذا الأمر مراراً.. أننى أرفض الهجرة.. مصر
أعظم بلد فى العالم.
- لاحقه سالم فى سرعة.. مصر كانت أعظم بلد فى العالم.
هوت كلماته كالصاعقة عليه.. ساد الصمت برهة، استجمع قواه..
- ماذا تريد يا سالم ؟
- منذ عام كامل وأنا أبحث عن الفرصة وأخيراً وجدتھا.. فرصة السفر.
الحمد لله.. هل ستسافر إلى الخليج؟
- لقد حصلت على السفر بعد عدة زيارات إلى وكيل الوزارة
كنت أشرح له ظروفى وأخيراً توسط لى ونلت بالفرصة..
- أين ستسافر؟
- إلى إسرائيل
- تساءل فى حسرة.. إسرائيل؟!!!
- جاءه الرد فى حزن... نعم. إسرائيل.
- يا للعار.. ألم تجد فى العالم كله إلا إسرائيل.. العدو الأغبر.

- لم تعد إسرائيل عدواً لنا.
- إسرائيل ستظل عدواً لنا إلى أن نزيلها من الوجود...
- ابتسم سالم ابتسامه باهتة. أننى أعلم أن إقناعك مستحيل تماماً كما كنت مثلك شديد المعارضة لإسرائيل، ولكنه قدر لنا..
- هل تسمى ذهابك إلى العدو قدراً لنا؟ إنه خيانة، خيانة عظمى..
- عماه.. استحلفك بالله أن تكف عن الشعارات.. لقد سقطت مثل هذه الكلمات أمام الأزمات الطاحنة التي تتعرض لها..
- سقطت المقاومة أمام التطبيع وسقطت الإرادة أمام الفقر وسقط النصر أمام الفساد وسقطت الراية أمام الضعف.
- أنت الذى سقطت.
- أنا لم أسقط إنما سقط كل ما هو لى.. الحواجز تفتت أمام قوة السلاح النووى.. والخوف سحق العرب فركعوا.. الآن أنت تستكثر عليّ أن أضعف أنا الآخر.. أن أركع أنا الآخر.. يا عماه الكل ركع...
- مصر لن تركع.. أنها تقاوم كل ضغوط الدنيا..
- لقد انهارت الأمة يا عماه...
- الأمة كلها.. الإسلامية قبل العربية والعربية قبل دول الطوق....

عماه أننى ذاهب إلى إسرائيل بعد أن فشلت أن أكون إنساناً
محترماً.. عماه، لقد أصبح السفر إلى الخليج بعد مذبحه الحرب
الثانية أمراً مستحيلاً وحتى إن سافرت إلى الخليج.

سأكون ذليلاً عبداً منقوص الحقوق والحريات... إننى قررت
أن أعيش في إسرائيل..

سأذهب إلى إسرائيل في بعثة زراعية ولن أرجع إلى مصر. إن
إسرائيل هى البقعة النظيفة في محيط غاية في القذارة.

- إن إسرائيل محرقة لك ولكل المخدوعين.. إن مصر
قاطعة في سرعة

- عماه لا تقل لى أن مصر هى أم الدنيا وأن العروبة جامعة وأن
الإسلام لا يبيح الذهاب إلى إسرائيل... عماه.. إننى زرع شيطاني..
شب في الزمان الخطأ.. ما هو الجميل في حياتي؟

لا شيء.. حب فاشل. الفقر لو كان رجلاً لقتلته.. وطن فيه
الغنى يزداد ثراء والفقير يسحقه... الفقر أكثر فأكثر...

كرامة تحت أقدام العسس.. دور تاريخى أصبح حبراً على ورق...
الفساد ماء والقهر هواء والحياة كلها لا تساوى شيئاً.. لماذا

نعيش في وطن من المحيط إلى الخليج، وطن يحتضر. يلتهم بعضه بعضاً.. عراقه محاصر وخليجه مستباح وقدسها ضائع وإسرائيل تستعد لقيادته بعد شهور...

- إسرائيل لن تقود الشرق الأوسط

- أنهم يدفنون القضية الفلسطينية يا عماء، وساعتها ستنتقل إسرائيل يدعماها العالم لتقيم سفارات في كل البلدان العربية.. وكل معترض سيتحول إلى دمية في جزر معزولة يحكمها القهر والبطش.. إن العرب أصبحوا مؤهلين لقيادة إسرائيل لهم إن رضوا وإن أبوا.. - أنت توهم نفسك بأوهام لتبرر هزيمتك.. أنتم جيل مهزوم.. جيل زيارة القدس المشؤمة..

لقد عشنا في ظروف أصعب بكثير مما نحن فيه الآن.. عشنا مر النكسة التنحي ولكننا لم نفقد الثقة في انفسنا، أو في وطننا أعدنا بناء الجيش.. صنعنا حائط الصواريخ.. عبرنا.. حاربنا.. وانتصرنا..

- لن يسمح العالم بانتصار جديد على إسرائيل.. لقد انتهى عهد الحرب.. عهد النضال ليبدأ عهد جمع المال وتكديسه في بنوك الغرب.. لقد بدأ عهد الاستسلام المهيمن وكل ما نراه من سياسات

هى تمثيلات مرسومة حتى لا تنهار ثقة الشعوب فى حكامها.. كل شىء مزيف.. الكرامة.. السياسة.. الانتخابات.. الاقتصاد.. الصحافة.. حتى الفن اكتسحه.

الراقصون والراقصات.. أنت يا عماه.. أنت بكل طموحك الذى كان وبكل تاريخك العسكرى فى حرب أكتوبر.. أنت تعمل فى مسرحية خلف راقصة.. منذ متى كانت الراقصات تتقدمن الصفوف وتحصد التحيات.. عماه.. إن إسرائيل هى الحرية وهى العدو وهى الكرامة وهى الرعب النووى وهى الانتصار وهى القذارة.. إننى أعرف أن الذين يحكمون إسرائيل مجرد سفاحين أقدار لا يتورعون حرق العرب جميعاً برؤوسهم النووية لو طالوا ذلك ولكنهم على مقدار كامل من العزيمة والمذابح والتحايل كونوا دولة وأسسوا حياة حرة يتداولون فيها السلطة دون انقلابات عسكرية، ودون إهدار لحقوق المواطن اليهودى..

عماه.. عليك أن تعترف.. أنتت وكل من يعادى إسرائيل أن إسرائيل رغم قذارتها وسفاحيها أصبحت بقعة نظيفة فى محيط يحتضر...
- إن إسرائيل ليست حرة وإنما تتظاهر بهذا أمام العالم

لتستعطفهم، لتبتزهم.. إسرائيل بقعة دم كبيرة تعترضها آلام شتى
بين يهود شرقيين وآخرين غربيين.

إسرائيل مجتمع ممزق بين جنسيات العالم كله وقد هزمها
السلام كما هزم السلام العرب.

- نحن مختلفان يا عماه.. وأنى أدرك ذلك لهذا أخفيت عليك
أمرى حتى وصلت إلى هدفى..

- هكذا ضاع عمرى..

- وهكذا ضاع عمرى أنا الآخر.. عندما سأهبط إلى إسرائيل
سأقتلع من جذورى.. ستعصرنى الآلام آلام آلاف الشهداء.. آلام

أطفال الحجارة.. آلام حزب الله فى لبنان.. آلام الحصار فى العراق..
ولكنى أريد أن أعيش محترماً لا أخشى أحداً.. أريد أن أكون حراً..

أريد أن أطارد الخوف الذى يلاحقنى. أريد أن أقهر القهر الذى
ولدتُ به.. أريد أن أكفر بالعروبة التى أنجبت هزيمة قرن كامل

وأضاعت فلسطين، أريد أن أذهب إلى إسرائيل أعيش بلا خوف وبلا
قهر وبلا عسف.

- أنت مجنون ستكون مرصوداً محاصراً..

- عندما يمر الوقت سيعلمون أنني ابن للسلام أو الاستسلام
وأنتى سأعيش معهم كما يعيش عرب إسرائيل، بل سأتزوج منهم
وبمرور الوقت سينتهى الحاجز النفسى.

- لقد هزمت إسرائيل في حرب العبور ولكنهم ردوا عليّ في
بيتى.. انتزعوك منى.. كيف؟ لقد رببتك على أضواء أكتوبر وعلى
أصداء الثأر الذى لا بد أن نثاره - عماه - لقد التهم الفقر الثأر وأنت
وكل المدافعين عن فكرة الحرب والجهاد لا تريدون أن تعترفوا بما
أنجزه اليهود من انتصار ساحق على العرب على مدى قرن كامل..
لا تريدون أن تعترفوا بأن اليهود أقاموا حضارة عنوانها حقوق
الإنسان اليهودى ورايتها الحرية وحارسها جيش الدفاع مع الموساد...
لقد أصبحتم جزر معزولة في محيط هادر بالاستسلام لماذا
لا أستسلم أنا الآخر.. أنا لست نبياً ولا قديساً. الشيوخ أفتوا بأن
الاستسلام للأمر الواقع قرآنا وانجيلاً وأيضاً توراة.. عماه.. لقد كسب
التلمود المعركة وأنهار الأمر.. قُتل من عبر القناة في حرب العبور،
تخلى الجيل الذى انتصر عن انتصاره عن نضاله، وتحول إلى هلام
فطاشت ضرباته الكل ركع في حرب التسليح والقيادات نالت منه

الأقمار الصناعية وأسلحة الشبح والليزر.. عماه.. لم يعد ثمة جيل يقاوم.. إنها جزر ضعيفة تصرخ ولا مجيب لها.

- في يوم من الأيام ستندم يا سالم

- إني مسافر خلال شهر ولن أعود قبل أعوام

وهنا تصاعد آذان الفجر يشق هدوء الليل فلاحقه:

- أقسم لك يا سالم.. أقسم لك بهذا الآذان أننا سنحرر الأقصى

ونعلم اليهود درساً لا ينساه الغرب.

- وإلى أن يأتي الجيل القادر على ذلك سأعود أدراجي إلى مصر

أما الآن فلا.. لا وألف لا..

شعر أن الكلام قد انتهى.. نظر إلى سالم نظرة حزينة فأدرك في

عينيه وحشة وحزن عميق وهزيمة مخزية.. أدرك أن الثوابت قد

تبدلت وأنه ربما يكون من رجال الحرس القديم في كل عهد، هذا

الحرس الذي يقاوم حتى الموت فيموت دون أدنى أثر.. أدرك أنه

هُزم في عقر داره.. أنزوت ابتسامة شاحبة إلى ركن قصي في شفتيه..

خرج من الحجرة متهاكاً، متمتاً في نفسه (لقد هُزمتنا).

ولج إلى حجرته.. كانت الزوج في قمة عنفوانها لأنها كانت تعلم

أن الليلة هي إحدى الليلتين اللتين يحدث بهما اللقاء.. ذاك اللقاء الذى تشتاق إليه مع حبيبها أدرك بنظرة منه رغبة الزوج التى لا تُنسى.. صمت حاول أن يبتسم ولكنه سرعان ما انقشعت الابتسامة إذ عاودته آلام مؤخرته وآلام قلبه الكسير من سالم. ارتدى الجلباب.. سار بخطوات بطيئة حيث توضعاً.. دخل فى الصلاة.. كان يشكو بثه وحزنه إلى الله كان يشكو كل شيء.. الفساد، القهر، الفقر، الفشل، الاستسلام، الذل، آلامه دعا الله من أعماقه أن يعود لسالم، إلى رشده، وأن ينصر الله العرب وهو النصر الذى لا يشك فى كونه قادم... ختم الصلاة والدموع تترقق فى عينيه.. ولج حجرة نومه، استسلم لرغبته فى اللقاء.. هم بها وهمت به ولكن رجولته خانتة.. كان الألم يعتصره وشعوره بالهزيمة المدوية فى سالم يسيطر عليه.. اعتذار لزوجة المذهولة المتسائلة العينين ماذا حدث لك؟ (لم أرك بهذا الوهن) أدركت أن حبيبها مثقل بهموم الدنيا.. راحت تواسيه وتخفف عنه ما ألم به، أما هو فقد انسحب مهزوماً.. ودعته بنظراتها المواسية حتى خرج من الحجرة.. كان يريد الانفراد بنفسه.. كان فى حاجة إلى أن يلتمس طريقاً إلى قوته المعهودة، دخل حجرة الاستقبال.. تلك الحجرة التى تُعلق على جدرانها صوره وذكرياته.. كان صوت المطر الرتيب يؤنسه

وهو ينهال على النافذة.. حدّق بصورته مع زملائه بزيه العسكرى
 أبان الحرب.. أطلق زفرة حارة.. بكى الأيام السالفة، بكى النضال على
 ضفة القناة، بكى أخاه الذى توفى وترك له (سالم)، سالم الذى سيذهب
 إلى إسرائيل ليعيش بها حياة حرة كما يريد.. تسرب إليه شعوراً طاعياً
 بالعجز، ومنذ ذلك اليوم لم يستطع أن يلتقى بزوجه، تلك الزوجة
 التى تقبلت ما أصاب زوجها بصبر ولم تبد له أى امتعاض.. تأوه فى
 حزن بينما يودع سالم وهو فى طريقه إلى المطار.. اختلط ألم مؤخرته
 بألم نفسه.. تساءل وهو يحتضن (سالم) للمرة الأخيرة.. من أى جيل
 أنا؟ من جيل الانتصار أم الانكسار؟ من جيل الحرية أم القهر من
 جيل الفحولة أم العجز؟ من جيل الألم أم السعادة؟

من جيل الصمود أم الانهيار؟ ثم تساءل ماذا يحدث فى بلاد
 العرب وما نهاية كل هذا اليأس؟ ولكن رغم كثرة التساؤل فقد
 تشبث بشيء واحد فى فلك حياته المنصرمة.. ضغط على الكلمات
 القادمة بقوة من فولاذ.. صرخ فى أعماقه حتى لا يسقط صرخ
 وهو يودع سالم (أنا الجيل الذى عبر أنا الجيل الذى عبر)..

(٣)

أ - المَغَامِرَة

كانت السيارة تنهب الطريق. السيارة بيضاء ماركة بيجو الفرنسية، أجرة تحمل سبعة ركاب. كان أغسطس ينفث قيظه فوق رءوس الجميع لهذا فالنوافذ الزجاجية فتحت على مصراعها بالسيارة، ورغم ذلك فقد تصبب العرق على وجوه الجميع. كانت في المقعد الأول من مقاعد السيارة القطيفية الثلاثة، بجانبها رجل في العقد الخامس من عمره وقد انهمك في قراءة الصفحات الرياضية في إحدى الصحف المسائية وبجانبه كان السائق الذى طالما راوغ السيارات على الطريق وقد ثبت قدمه على ضاغط البنزين ليجرى بالسيارة كالريح.. ضايقها الحر وإهمال من حولها لها فقد كانت جميلة وقد أدركت ذلك وأدركت أيضاً تلك السلطة السحرية على الرجال من أول نظرة لها، لهذا فقد كانت تطلق من آن لآخر زفرة حارة كأنها تعاني الحر ولكنها كأنها رسالة ضجر تبثها إلى كل الركاب

المتخلفين عن سحرها.

وفجأة عبثت السيارة وأخذت تصدر أصواتاً غريبة مما اضطر السائق إلى التوقف على جانب الطريق هبط كل الركاب صارخين، ماذا حدث؟

بعد دقائق خرج السائق عليهم بقوله: السيارة لن تتحرك متراً واحداً لقد تعطلت.

اكتسحهم التذمر وتعالى الهتافات:

- هل هذا كلام؟

- أنت سائق مهمل.. كان ينبغى أن تكشف على السيارة قبل السفر.

ماذا سنفعل ونحن على قارعة الطريق؟

أما هى فقد انفجرت.. ما كل هذا الآن؟ التعطل.. الحر..

الزحام.. كل شىء مقرف مؤسف.

ولكن السائق لم يستسلم فصرخ فيهم.. وهل أنا من تعمد

هذا العطل..؟

هذا قدرنا الأسود فى هذا الحر الشديد.. كل ذلك غير مهم الآن الأجرة..

فصرخت: أى أجرة يا نصاب؟

أدرك السائق حالة التمرد فأثر أن يكون موضوعياً: إن الأجرة من القاهرة إلى المنصورة ثمانية جنيهات، وها نحن قطعنا ثلثي المسافة أي أن حقى حوالى خمسة جنيهات.

وبعد مجادلة قرروا دفع أربعة جنيهات فقط لا غير وكان قاد الحملة هى بذاتها وبقدراتها.

ولأول مرّة فحصها السائق بشدة بعد أن جمّعت الركاب حول رأبها وكأن نظرتة تتوعدها، ولكنها أطلقت نظرة سخرية شديدة ودست يدها فى حقيبتها السوداء الصغيرة وأخرجت الجنيهات الأربعة وغرستهم فى جيب السائق وهى تردد المرة القادمة كن أكثر حرصاً.

لم تكثرث بعد ذلك لا بالسائق الحانق ولا بالركاب الحائرين وإنما حملت حقيبتها الصغيرة السوداء بيمنها وحقيبة ملابسها المتوسطة الحجم فى يسراها بعد أن ثبتت نظارة الشمس الأنيقة الإيطالية على عينيها. الطريق امتدت أمامها عبر الأفق وقد احتضن الأسفلت شقا النيل أو أحد روافده والحقول الخضراء، لم يكن أمامها سوى حل واحد أن تمشى فى الطريق إلى أن تجد حافلة أو سيارة أجرة

بها مكان شاغر.. بعد ربع ساعة توقفت بجانبها سيارة مرسيدس حمراء وقفت لتدرس الموقف.. هبط زجاج النافذة فلطمتها موجة هواء رطبة رائعة تهلل لها أساريرها، ومن خلف النافذة وجدت وجه جامد لرجل في العقد الخامس وقد اشتعل رأسه شيباً، يرتدى بذلة داكنة أنيقة ورباط عنق أحمر زاهى قد أحاط عنقه.. لأول وهلة لم يدر حوار بينهما كأنهما يدرسان الموقف، بعد أن تلاقت العينان ابتسم في هدوء كأنه قد أدرك شيئاً وقال: تفضلى.. اركبى.

صمتت لحظات ثم سألته أنا طريقى إلى المنصورة وأنت؟

رد بمجرد النظر: طريقى طريقك.

فلاحقته: هل ستذهب إلى المنصورة؟

رد وقد بدأ يقول بعينيه الكثير. طريقى طريقك يا جميلة.

أسعدتها كلمة جميلة أول الأمر ولكنها أدركت أنها تحمل عدة معانى دار في نفسها حوار سريع كان حاسماً في اتخاذ القرار فقالت عل الفور لا تتعب نفسك، طريقى ليس طريقك.. ثم حملت حقيبتها وسارت غير عابئة به..

هوت كلماتها كالصاعقة عليه ولكن سرعان ما كظم غيظه

ومد نظره عبر الأفق يفكر كأنه يراجع حساباته، تمكن فيها وقد بدأ من رأسها الملفوف بوشاح أبيض إلى عنقها الذى يداريه فستانها الأزرق حتى إلى ما تحت الركبة مباشرة.. تعلقت عيناه بخصرها ثم بأردافها ثم بساقيها الرائعتين تتمم بشيء ما مفاده.. مستحيل. ولكنه تماسك وقد قرر شيئاً ما.. ضغط على ضاغط الزجاج فصعد الزجاج ذاتياً ثم ضغط على ضاغط البنزين بقوة فانطلقت السيارة محدثة دويًا وصراخًا ودخانًا إثر الاحتكاك الشديد بين الإطارات والأسفلت الساخن.

أما هى فقد ابتسمت ابتسامة الرضى، بعد ربع ساعة أخرى توقفت السيارة الثانية كانت سيارة مصرية الصنع لها أصل إيطالى، توقفت وقد أطلق سائقها عدة تنبيهات من الكلاكس وكما حدث بالمرّة السابقة حدث بهذه المرّة..

التقت العيون أولاً.. كأن كل منهما يتفحص الآخر وبعد برهة ابتسما وبدون كلمات فتح لها الباب وولجت.

تفحصته جيداً، فى العقد الرابع، متوسط الطول، قمحى، حليق اللحية والشارب ملامحه تموج بالقوة والشباب، يرتدى قميصاً أزرقاً

- فاتح وسروالاً أسوداً وقد وضح أنهما غاليان الثمن.
 ارتسمت على وجهه ابتسامة ثقة وتطلع فقال وقد أردا أن
 يفتتح الحديث أهلاً وسهلاً.
 ردت في خفة ظل: أهلاً بك.
- ما طريقك؟
 - المنصورة.. وأنت؟
 - نفس الاتجاه تقريباً.
 - ما معنى تقريباً؟
 - معناها واضح.. تقريباً تعنى تقريباً.. ليس هذا هو المهم.
 - وما هو المهم؟
 - أن نتعارف
 - إسمى حنان.
- أدرك من أول وهلة أن هذا ليس اسمها الحقيقي ولكن لم
 يهتم وما أن هم بالكلام حتى أدركته.
 - كأني رأيتك من قبل.. أين لا أتذكر؟
 كان ينوي أن يعاملها بالمثل وأن يدعى اسماً غير اسمه ولكن

هذه المعالجة جعلته يصارحها رغما عنه بحقيقته.

أنا هانى العزازاى.

- فعاجلته.. الصحفى؟

- نعم

كنت أشعر من أول وهلة أننى أعرفك.

- صدق حدسك

- سعد لهذه البداية الموفقة ولكن كان يفكر فى شىء ما هو لماذا لم

تقل لى اسمها الحقيقى؟؟ صمت بعد برهة وبدأ فى معاودة الاستكشاف.

- وأنت ما عملك؟

- أنا طالبة فى امتياز القصر العينى.

طبيبة؟! جميل، جميل جداً.

- قرأت لك عدة مقالات من قبل ولكن للأسف كان كلها فى السياسة.

- أنا لا أكتب إلا فى السياسة.

- ولماذا لا تكتب فى الحب مثلاً؟

- ضحك وقال فى هدوء.. أنا لا أكتب فى الحب لأننى عملى،

أصل إلى الجذور فى ملح البصر ولست على استعداد أن أعيش هائماً

في كل وادى كالشعراء والرومانسية.

- ولكنى أرى في سيارتك شرائط كاسيت غنائية. تسمح لي أن أفحصها؟
- تفضلي.
- هذه شرائط لعبد الحليم وهذا هو الأطلال.
- وهذا شريط من شرائط أم كلثوم الوطنية الذى طرح قريباً بالأسواق.
- لولاكى هذا قديم جداً.
- ولكنه مهم وجميل
- وهذه مجموعة من الأغاني الجميلة
- شبابية
- يسمونها شبابية ولكنها الأعظم بكل المقاييس
- وهذه سورة يس من القرآن
- بصوت الطبلأوى؟
- نعم.. لماذا إذن لم تكتب عن الحب رغم كل هذه الأعمال العاطفية.
- أنا أسمع كل شيء، لاحظى أننى صحفى.
- وماذا أحضر الصحفى القاهرى إلى الدلتا؟
- انتخابات مجلس الشعب على الأبواب وهناك سبق صحفى

بخصوصها في الدلتا

- هكذا؟

- نعم

كانت عاصفة من التفكير تدور في رأسه وقد ثبت عينيه على الطريق، والوقت ليس في صالحه فهو لابد أن ينجز ما هو فيه قبل حلول الظلام.

وقد حمسه أنه وكأنه قد تأكد من شيء ما وهكذا فيجب أن يحسم أمره وينجز عمله في أسرع وقت ممكن خاصة أن المنصورة على الأبواب.

- أنا عطشان هل لك في مشروب معي في هذه المقهى.

- بسرعة وبلا تردد/ نعم

تواجهها ولأول مرة تفحص وجهها بعمق فهتف في أعماقه.. فاتنة وبالمثل تفحصته جيداً للمرة الثانية وأطلقت زفرة أنثوية حائرة أزدت بها لهيب الموقف ولكنها ابتسمت ابتسامة لها معنى وقد أدركت هي الأخرى شيئاً ما. جاء النادل فأشار عليها أن تطلب ما تريد فطلبت في برود:

- بيرة ستلا مثلجة جداً
 أشار إلى النادل بمثلها له ثم أردف لها
 أنت في كل لحظة تثبتين لي أنك عملية جداً.
 أصبح من الواضح أن ثمة فكرة قد سيطرت عليهما وأن كل
 منهما يريد حثيثاً أن يلتقى بالآخر على ضفاف هذه الفكرة.
 دارت بعينيهما في المكان فأسعدهما أن لا أحد من رواد المقهى
 بجانبهما مما أعطاها حرية أكبر في الحديث.
 - الدنيا حر جداً.

لم تكتف بهذا القول بل مدت يدها على أزرار فستانها الأزرق
 المشقوق نصفين من الأمام والملتحم بتلك الأزرار الداكنة، مدت
 يدها على زرارين فانفجر فاه الفستان ليكشف ذلك الصدر الناصع
 وقد تدلى في وحشية نهدان بارزان.. غرس بصره بهذا الشق الذي
 انفجر فجأة ليخرج له ما يتيه عقله، أبصر على الفور الصدر الناهد
 وغلافه الأحمر من الملابس الداخلية..

جن جنونه وتساءل في لهفة بنفسه: من هذه المخلوقة الغريبة؟
 أطلق زفرة حارة لفحت وجهها وهتف في نفسه (هنخلص إن

شاء الله) ثم سألها بعد برهة:

هل لك أصدقاء؟

- بالطبع

- ذكور أم إناث؟

ضحكت ضحكة خبيثة.. معظمهم من الذكور

- هذا يثبت أنك فتاة عصرية

وهنا جاء النادل فوضع زجاجتا البيرة في أدب وانصرف.. أفرغا

نصف البيرة في الكأسين اللذين احتويا مكعبات الثلج وبدأ في الشرب

كان في كل جملة يختار كلماته بعناية ليؤكد ما وصل إليه من

مكسب ويكتشف ما هو مقدم إليه من غيب عنه فقال:

- أنا أيضاً لى صديقات كثيرات

- بالطبع فأنت شخصية عامة.

- ولكن هل لك صديق شخصى مقرب منك؟

- نعم هو فى الأصل زميل لى وتطورت العلاقة بيننا بعد دخولى

الجامعة حتى صرنا صديقين.. هو أقرب الناس إليّ

- هل بينكما.. حب ؟

صمتت عدة لحظات كأنها أدركت السهم الذي ستصيب به الهدف فقالت بعد أن شربت الكأس: بيننا كل ما تتخيله أدرك أنه يسير في الاتجاه الصحيح فرفع الكأس إلى شفثيه ولم يزغ عينيه عنها.. كان يريد أن ينتهز الفرصة ليفكر ثواني ولكنها لم تهله فقد سألته.. معك سجائر؟

تمالك نفسه وقال: بالطبع/ أخرج من جيبه الداخلى علبة سجائر من جيبه الداخلى علبة سجائر أجنبية وقدمها إليها. أخرجت سيجارة وأشعلتها وشهقت منها شهيقاً عميقاً إندهش له فهو نفسه لا يستطيع شهق هذا الدخان الكثيف

مرت لحظات بسيطة وقد أدرك أن الخطوات الباقية قليلة.

- هل بينكما زواج عرفي مثلاً؟

- شهقت شهيق آخر ونفثته في اتجاهه فغمره وقالت في بساطة:

ولماذا زواج عرفي؟ ولماذا زواج وشهود ووجع رأس.. لقد تحابيننا

وتضاجعنا وتعاهدنا على الزواج في أقرب فرصة.

- أى أنك لست عذراء؟

ضحكت ضحكة رقيقة.. صبت ما تبقى من البيرة في كأسها

- وشربته كانت تتعمد أن تهمله كثيراً لتثيرة
- بالطبع أنا لست عذراء.. أنا حرّة أفعّل ما أشاء مع من أشاء
في أي وقت أشاء ولن أسمح لأى قوة أن تحد من هذه الحرية حتى
صديقى وزوجى القادم.
- أفهم من ذلك أنك تمارسين الحرية مع الجميع؟
- مع من أتوسم فيهم الذكاء
- وحبك؟ وصديقك؟
- صديقى وزوجى القادم يفعل مثلما أفعّل ولا ألومه لأننى لن
أسمح له أن يلومنى ويوم أن نتزوج سنتفق على أسس نعيش عليها.
ولكن هذه الأسس لن أسمح لها أن تنال من شخصيتى مهما
كانت الظروف ومهما كان الحب.
- معنى ذلك أن لك علاقات خاصة وصديقك يعلم بها؟
- يعلم أو لا يعلم هذا شأنه هو لا شأنى أنا.. هذه حياتى أنا.
- أنا أعشق هذه الحرية ولكن ألا تتوقعى أن تزوجك العائلة
مثلاً ممن لا ترغيبين به.
- عائلتى بالقرية تعيش بوهم كبير.

- بالقرية؟
- نعم أنا من احدى قرى الدقهلية. ورغم ذلك فقد تفوقت
والتحقت بكلية الطب لقد وصلت إلى القمة ولن أهبط عنها أبدا
بل أننى سأكون عضوة بهيئة التدريس.
- أنت متفوقة أذن؟
- طبعاً.
- ولكن التفوق ليس كل شيء
- ستعلم بعد قليل أننى سأكون عضواً بهيئة التدريس رغم
أننى لست من بنات أعضاء هيئة التدريس أو ممن لهم نفوذ
بالطبقة العليا من المجتمع.
- أنت عنيدة.
- دعنى أقول لك شيئاً بعيداً عن عنادى. عائلتى تعيش على
أوهام كبيرة ماتت منذ سنوات طويلة ولكنى سأنفذ كل ما أريده
ولن يستطيع اخوتى أو أبى أو أمى أن يرغمونى على شيء لا أريده. أنا
لم أعد أنتمى إلى هذه القرية المتخلفة ولا لهذه العادات والتقاليد
أو حتى العرف البائد لقد تغير العالم ولا بد أن نتغير معه.

- أنا شديد الإعجاب بك
- أنت تريد أن تمهد لشيء أعرفه من أول وهله ولكنك تتعامل
معى كما تتعامل مع القراء بالتورية والتمهيد والخطط.. أنت يجب
أن تتعلم كيف تتعامل مع الأنثى.
أسقط فى يده تساءل ماذا تعنى هذه المرأة؟ هل ستعلمنى
بعد كل هذه السنوات من الخبرة والاحتكاك بالسياسيين والمجتمع
كيف أتعامل مع الأنثى؟!
لم تمهله فرصة التفكير فقالت وهى تفك ارتباط الزرار الثالث
بموثقه ليتجلى صدرها اللاهث: أنت تريد مضاجعتى.
أراد أن يقول لها أنى أدرك من أول وهلة من خلال مشيتها ونظراتها
أنها لعوب وأنها امرأة مهاد من الدرجة الأولى ولكنه أثر أن يخفى ذلك
على أن يثبت لها رجولته فى المضمار فهو لا يعترف بالكلام...
أفرغ ما تبقى من بيرة فى كأسه وشربه فى جرعة واحدة وقال
فى هدوء:
نعم أريد أن أنام معك.
أطلقت الصعداء وقالت فى هدوء وأنا أوافق.

- ولكن هناك مشكلة.. ليس لدى الوقت الكافي الآن أنا مرتبط بموعد هام.

- ستكون مغامرة لذيذة لن تأخذ منك وقتاً طويلاً

- ستكون علاقتنا دائماً

- هذا متوقف على أشياء كثيرة سأعرفها بعد قليل.

سقطت جملتها كالصاعقة فهتف في نفسه: سأسحقك جنسيا يا عاهرة.

نظر في ساعته لم يعد أمامنا وقت طويل.. هيا الآن.

إمتطيا السيارة وقد لفتها الرغبة وسجرها.. دارت الأفكار في رأسه هل يأخذها إلى المدينة ومنها إلى فندق؟ ولكن الفكرة باءت بالفشل لأنه شخصية عامة ولن يستطيع أن يأخذها إلى الفندق دون فضيحة قد تصل إلى أسرته المكونة من زوجته وولده وابنته فيتهدد مستقبله كله.. كما أن الرغبة قد احتوته الآن فدمرته وأحالاته إلى قرار بأن يضاجعها ويثبت لهذه المتمردة رجولته تلك الرجولة التي أضحت في موضوع الامتحان. إذن لم يبق إلا الطريق وعلى هذا الطريق أو في جنبه لابد أن يكون ما قد قراره.. كان

ذهنها هي الأخرى يعمل بسرعة ولمعت الفكرة في رأسها فعاجلته
- أدخل إلى شوارع أول مقابر تقابلك

هتف في أعماقه أيتها المجنونة كيف لم يتبادر إلى ذهني هذا
المكان الهادئ في هذا الوقت من الرواح؟ بالفعل إن المقابر هي
المكان التالي.. بعد خمسة دقائق كانت أطلال المقابر تترأى على
يمين الطريق وقد لفها هدوء رهيب..

- ها هو المكان.. ادخل إلى اليمين.

بالفعل دخل إلى اليمين كانت المقابر تمتد إلى عمق اليمين ثلاثمائة
متر وعرضها خمسين متراً، فهي إذن سائر مناسب ليحتوى العاشقين.

اوغلت السيارة حتى وصلت إلى قلب المقابر.

لقد اختفينا تماماً إلى إحدى الحارات الجانبية حتى تختفى
تماماً عن الأنظار.

وبالفعل انزوت السيارة تماماً... أوقف المحرك وساد الهدوء...
خرجنا من السيارة ليفحصا الموقع.. كان موضعهما شديد الهدوء
تصله من برهة لأخرى آثار مروق السيارات في الطريق الزراعي،
ولكن الهدوء ما يلبث أن يعود... دارت ببصرها في المكان كانت ثمة

عيون مفتوحة خالية من الرفات بجانبها عيون مغلقة بالأسمنت وقد كتبت عليها أسماء وتواريخ الدفن. دارت بعينها في المكان وابتسمت هتفت: محظوظان.

هرولت فتابعها وقف أمام أطلال مسجد ولكن جدرانها الأربعة متعاقبة بينما السقف متهدم وفي المقدمة باب خشبي كبير موارب هتفت في فرحة: هنا.

قرأ في صوت مسموع: هنا مسجد الشهيد صبري حامد أحد شهداء الحرب ثم قرأ جملة أخرى.. تبرعوا لإعادة بناء المسجد، بعد بحث يسير وجدا صندوق خشبي مثبت بسلسلة حديدية في إحدى القضبان الحديدية للجدار.. ولجا إلى الداخل.. كان ضياء الشمس قد بدأ في الذبول ولكنها شاهدا في وضوح الجدران وقد ازدانت بنقوش شوهاء وكلمات هي على الأرجح أسماء الله الحسنى ولكن طبقة الزيت الهالكة قد حرّفت الكلمات ولكنها استطاعا قراءة بعض الأسماء وفي السقف كانت بعض الآيات تبينوا منها بعض الكلمات (نور) (على) (نور) (شرقية) (غربية) (يكاد) (زيتا) (ولوم) (نار) (الله) (مَنْ) (يشاء).

قالت وقد أخذ اللهاث يطارد كلماتها
- أعتقد أن ثمة حارساً للمكان فهم لن يتركوا الصندوق للصوف
- نعم.. هذا منطقي.
وهذه الصناديق التي في الجانب لابد أنه ينام عليها.
- إنها صناديق كبيرة مغطاه بالحصير.
- أذن هيا وقبل أن يأتي
- هيا
عبثت في الوشاح الأبيض الذي يغطي رأسها فانزاح في سهولة
فظهر شعرها الطويل الذي أكسبها فتنة على فتنتها.
ثم امتدت يداها إلى بقية الازرار تفكها واحداً تلو الآخر ليظهر
إلى الوجود جسداً ناصعاً قد ضربته حُمْرة الإثارة فالتهب وألهب
الصحفى فهتف في شوق.. أنت خطيرة.
فعالجته بضحكة رقيقة وارتمت في أحضانه تجره إلى الصناديق
المتراصة وقد علاها الحصير. التقت الشفاه في عنف والأيدى تعبت
في جسد كل منهما حتى إذا ما أراد أن يطورا العناق والقبلة انفتح
فجأة وظهر رجل يقف في تحدى وقد نظر إليهما شزراً. أخذتهما

المفاجأة القاسية ولكن بعد لحظات أدركت الحقيقة أنه الرجل الذي رفضت أن تتركب معه السيارة المرسيدس الحمراء.. نعم هو.. هو. مرت لحظات لطيفة أعدل فيها من سرواله حتى أحكم حزامه على خصره.

هتف الرجل.. كنت أعلم أنكما تدبران لهذا العمل الخبيث أيهما الشقيان.

فرد هاني.. أي عمل ؟ ماذا تقصد؟
نظر الرجل إليهما نظرة ذات معنى ثم ضحك ضحكة خبيثة وقال:
- إيبه عليّ أنا هذا الكلام؟ يا عزيزي ألا ترى هذا المشيب وقد اشتعل في رأسي احترم خبرتي على الأقل.

- ماذا تريد؟

- أنا قاضي أي أمثل العدالة الإنسانية وأنا هنا أمثل أمامكم كمظلوم.
ولأول مرة تحدثت دون أن تداري جسدها.

- ماذا تريد؟

فعاجلها على الفور.. أريدك، أنت حقي أنا الذي اكتشفتك على الطريق أولاً ولكنك إمتنعتي ولا أعلم لماذا ولكن نظرتي التي

لا تخيب كانت في محلها وإرادتي الطيبة قررت أن تراقبك لتثبت وجهة نظري.

فعاجله هانى هذه المرة.. ماذا تريد؟

فرد القاضى فى هدوء.. أريد الحبوبة.

هانى.. الحبوبة؟ وأنا؟

القاضى: أنا أولاً ولعدة أسباب فأنا الأكبر فى السن ويجب احترام

السن وأنا الأكثر خبرة فى كل نواحي الحياة.

وأنا أول من تعرض للحبوبة على الطريق ثم إننى القاضى

وهكذا فأنا احق بالمضاجعة أولاً وقبلك بالتحديد يا عزيزى.

لم تتحمل كل هذا فضحكت ضحكة رقيقة.. لقد ملأتها

هذه الكلمات نشوة فتراجعت إلى الوراء لتجلس على الصناديق

الحصيرية فقد قررت أن تكون لمن يكون أولهما دون تحيز منها

واستطرد القاضى.. وإذا ما اعترضت يا عزيزى فأنا متأسف أن أقول

لك أننى سأمنع هذه المضاجعة من أصلها وبهذا لا أنت ولا أنا نفوز

بمصاحبة هذه الفاتنة.

سألها هانى ما رأيك؟

لم ترد وإنما نظرت له نظرة عجيبة معناها (تصرف) فأردف هانى للقاضى... ولكن ليس لدى وقت.

فرد القاضى متلهفاً أنت الذى تضيع الوقت الشمس ستذهب بضياتها ما عليك سوى الانتظار بالخارج كما انتظرت أنا وقد استضفتها فى المقهى هكذا نبادل الانتظار ولا تخشى شيئاً فعلى سيارتك كيس به زجاجتين من البيرة اشربهما وتسلى كما شربت زجاجتين على المقهى المجاور لكما أراقبكما. أليس هذا هو العدل يا عزيزى؟

كانت تعتصر هانى رغبة فى هذه الشابة التى عصفت بكيانه ولكن الأمر لم يكن هذا فقط كان يريد لها خلية له إلى فترة طويلة قادمة فهى فاتنة ولكى يحصل على ذلك لابد أن ينجح فى الامتحان الذى وضعته فيه.

حسن سأترككما ربع ساعة.

فهمت القاضى فى غيظ.. لا، اترك الغيث يهيم كما يشاء لا تجعل الوقت يقتل المتعة.

إن هذه الربع ساعة لا تكفى لشيء بالمره.

- ماذا تريد إذن؟
- أتركنا إلى أن أخرج لك.
سلك هانى طريقه إلى الخارج ولكن قبل أن يخرج أوقفه
القاضى بأن وضع يمينه على منكبه وقال:
- لا تحزن أنا برضه الكبير.. فابتسم هانى رغماً عنه وقال:
- أنا روحى رياضية وخرج
أغلق القاضى الباب بقدمه فى حركة رشيقة وتقدم إليها فى
خطوات واثقة بسيطة وقد التهمها بعينيه.
هتفت ضوء الشمس لن يسمح لنا بوقت طويل.. هيا..
خلعت ثوبها ثم ردائها الداخلى أما هو فقد استأذنها لحظة
بأن يبول فى الركن المقابل ذهب وهو يمزح: أنها البيرة
مضت ساعة كاملة وهانى يحترق بين تلك الأغاني الصاخبة التى
تنبعث من مسجل السيارة والبيرة التى قضى على زجاجتها كان
الغيظ يتملكه والرغبة تحرقه والخيال يسحقه والموعد المنتظر
يداهم هدوءه فيحيله إلى بركان من القلق الذى شله تماماً ولكنه
لم يكن يقدر أن يفعل شيئاً آخر سوى أن يقترب من الباب فيسمع

ما يشيب من هو له الولدان فيرجع إلى السيارة فيحكم غلق الباب والزجاج فلا تتسرب إليه تلك التنهدات المدمرة.

بعد هذه بساعة كان القاضى يحكم سرواله حول خصره ويضع اللمسات الأخيرة على رباط الصنف الزاهى ومنديله الزاهى فى جيب الحلة الداكنة العلوى.

تنفس الصعداء وقال فى هدوء:

- لم أتصور أنك عفريته بهذا الشكل!؟

فردت عليه بنفس المنطق.. وأنا لم أتصور أن تكون بمثل هذه الفحولة. الدهن فى العتاقى يا بنتى وأردف لهذا لم ترض الركوب معى أول الأمر.؟

- نعم.. وقد كنت مخطئة فى ذلك ولكن هذه الساعة الجميلة اعادت كتابة تاريخى.

- أنا أريد أن أكافئك دس يده فى جيبه فأخرج ورقة مالية من أوراق معه أعطاها ورقة خضراء وقال: هذه ورقة من فئة المائة دولار.

- ولكنى لست فى حاجة إلى المال أنا ضاجعتك لأننى حرة.

- وأنا لا أقدم لك ثمن الساعة الجميلة التى قضيتها معك إنها تذكار على أهم ورقة بالعالم اليوم فخذها منى عن طيب خاطر وليس هذا فقط (خذى هذه أيضاً).

- ما هذا؟

- أنها سلسلة ذهبية بها آية الكرسي لتحفظك.. وهذا هو كارت وبه رقم المحمول.

أخذت الكارت وقرأت على بصيص النور منصبه ونظرت إليه وهى لا تزال عارية.

- أنت عظيم...

- خليها فى شرك الآن أقول لك إلى لقاء جديد فى القاهرة وعندما نلتقى سنكون فى مآمن وستكون لنا شقة رائعة نتقابل فيها وأنت تستحقين ذلك فمنذ فترة طويلة لم أجد هذا الإجرام فى امرأة.

ضحكت ضحكتها الرقيقة وأنت أيضاً مجرم كبير جداً.
قبل شفيتها فى عنف وقال مع السلامة.

كان هانى على وشك الانفجار فقابله القاضى بوجه مبتسم.

أسف يا عزيزى.. تأخرت عليك قليلاً ولكن لا بأس لا تزال

الشمس ساطعة.. الوداع.

ولج السيارة وضغط على ضاغط البنزين بقوة فانطلقت
السيارة محدثة ضجيجاً وصراخاً ومخلفة هالة من الغبار.
دخل هانى وأغلق خلفه الباب وجدها وقد استكانت منتشيه
على الصناديق الحصرية كان يود أن يسألها عما فعله معها ولكن
كرامته منعتة من ذلك. بعد تفكير قليل قرر أن يطفئ رغبته في
شراسة وهذا كل شيء. اتجه إلى الركن المقابل لها وبال فيه قائلاً:
انها البيرة.

بعد نصف ساعة انتهيا من المضاجعة كان من الواضح أن
نشوتها مع القاضى أقوى مما هى عليه مع هانى وقد أدرك ذلك.
فالتهمت كرامته ولكنه تحامل ونظر إليها وسألها:

- تعبت؟

- فعاجلته في هدوء: أبداً.

هل سأراك مرة أخرى؟

- بالتأكيد

مد يده إليها وهو يعدل هندامه.. هذا هو كارتى وبه رقم

المحمول منتظرة منك مكاملة.

- طبعاً.

- هيا ارتدى ملابسك حتى أوصلك إلى قرينتك.

في خمس دقائق كانت قد احكمت هندامها ووضعت لمساتها الأخيرة على وشاحها الأبيض مد يدها إلى زرار رداؤها الأزرق الأخير ليثبتته في محجره وهو يقول..كنت أتمنى أن نمكث هكذا إلى الأبد ولكن في كثير من الأحيان الأقدار لا تتيح لنا حيزاً من الحرية.

- لا عليك كانت لحظات جميلة على أية حال

خرجا من أطلال المسجد وسارا بخطوات هادئة إلى السيارة.. ولجا.. لاحظت أن شيئاً ما في الطريق يتحرك، كان مشغولاً في إدارة السيارات وشيئاً فشيئاً أدركت ما رآته فكتمت ضحكتها لقد رأت كلباً يضاجع كلبة. سألتها عن ضحكها فقالت في أنوثة: لا شيء.

انطلق بالسيارة بينما ظلت تراقب الكلبين حتى غابا بالظلام وعندما أصبحت السيارة على مشارف الطريق رأيا رجلاً يمسك بمصباح أبيض نيون ينير له الطريق فأدركا أنه الحارس الذي تعجب عندما شاهد السيارة تخرج من قلب المقابر.

- يجب أن أسرع فقد فات الموعد وربما الحدث كله. كانت السيارة تنهب الطريق نهباً أما هي فقط أطلقت نظرها إلى الأفق لا تفكر في شيء فقد ارتويت ولكن الهدوء لم يدم فقد ارتفعت أعمدة الدخان من مقدمة السيارة. أوقف هاني السيارة بسرعة وهتف.. السيارة تحترق.

خرجت وقد أمسكت بحقيبتها تنظر إلى الدخان المتصاعد في عنف. أسرع هاني وفتح مقدمة السيارة فقال إنه ماس، السيارة ستحترق بالكامل.

- حاول أن يخمد النار الناشبة ولكنه فشل كان من الواضح أن الماس يسرى إلى أن يصل إلى الأسلاك في كل الاتجاهات فوق خزان الوقود أمرها بالتراجع بعيداً عن السيارة وقد بدا أن يده قد احترقت من أثر البلاستيك المنصهر وما هي إلا دقيقة وقد انفجرت السيارة. بدأ الأهالي يتجمعون ومعها تقف السيارات وقد خرج السائقون بطفايات الحريق يرددون لا حول ولا قوة إلا بالله لا إله إلا الله الله أكبر.. معلهش يا ابني.. اعتذرت له عن الاستمرار في وجودها معه فالقرية قريبة من هنا وقد يتعرف عليها أحد.

تفهم وجهة نظرها وودعها وقد ذكّرها بالموعد القادم فطمأنته على ذلك بالطبع تركت الأهالي يهيلون التراب على هيكل السيارة وصالونها وقد بدأت النار تخبو. على ضوء الغروب ونار السيارة قرأت البيانات في الكارتين. مزقت الكارتين وابتسمت في ثقة وقد أصبحت قريتها على مرمى البصر.. رددت في بساطة (مسكينان.. لقد كانت مجرد مغامرة.. وما أكثر المغامرات).

(٤)

ب - لا

استيقظت مبكراً هذا الصباح... كأنها تعودت على الاستيقاظ في هذه الساعة طوال العالم الدراسي المنصرم قالت في نفسها (أنها الساعة البيولوجية).

أطلت بنظرها إلى الشجرة الباسقة التي غازلت نافذتها بفروعها.. كم كانت تحب هذه الشجرة وكم تعلمت منها الحب والحنان.. داعبت فروعها بأناملها الرقيقة كأنها تقول (صباح الخير) دخل أبوها حجرتها المنظمة مبتسماً (صباح الخير أيتها المعيدة الحسنة).

سارعت لتقبله ترد إليه تحيته.

- استيقظت من نومك في نفس الموعد.

- تعود.

- أنا الآن في الصيف عليك أن تستريحى لأن القادم أصعب من الماضى.. أنت الآن معيدة في كلية الحقوق بعد التفوق الكاسح

طوال أربعة أعوام.. عليك أن تستعدى لمزيد من الكفاح في مستقبلك العلمى.

- عقلية رجل الأعمال المنظمة هى التى تتكلم.

- بل عقلية الأب... أنت من اليوم ضيفة فى النادى حتى الاستجمام.

- أنا فعلاً مرهقة جداً... عقلى كله أفكار وبنود وقوانين ومواد

وقلبى يأكله القلق يتساءل هل سأنجح فيما هو قادم أم لا.

- الذى أنجحك فى الماضى هو الذى سينجحك فى المستقبل..

إنه الكفاح.

بعد تناول الفطور ارتدت رداءها البسيط الناصع البياض..

استقلت سيارتها الجولف وخرجت إلى النادى تعبر طريقها وسط

شوارع المعادى الهادئة كان لنجاحها الكبير الصدى الواسع فى نفوس

رواد النادى ولكن الجميع اتفقوا على أن هذا سيضيف إلى غرورها

غروراً... فهى دائماً هادئة لا تتحدث مع أحد.. ملابسها بسيطة

غالية الثمن.. تحكم نظارتها الشمسية البنية والتى لا تغيرها..

على عينيها الخضراوين وتحكم جماح شعرها الأسود الناعم ليتبدل

على هيئة ذيل الحصان.. تجلس فى أماكن محددة فى النادى بعد

أن تبتسم في هدوء وثقة لمن حولها.. تطلب مشروباً محدداً هو الليمون أولاً والشاي السادة ثانياً و فقط...

تمكث عدة ساعات تقرأ في صحيفة أو مجلة أو أحد الكتب.. لا تتحدث مع أحد وإن تحدثت كان الاقتضاب.. ترحل في هدوء كما جاءت في هدوء..

وشخصية كهذه لابد أن تثار حولها الإشاعات ولا بد أن يكون جوهرها كله الغرور والتعالى ولكن الحقيقة كانت عكس كل ذلك فهي تحب العزلة دون تكبر وتحب القراءة وتجد فيها وسيلة مفيدة لاستثمار الوقت وتعشق الهدوء ولهذا فهي تبتعد عن الجميع لأنها تعلم أن كل من حولها لا يجيدون سوى الكلام و فقط... كانت تضع حاجزاً بينها وبين اللغط لأنها أولاً لا تجد الوقت الذي تمارس فيه هذا اللغط لدراستها وتحديد هدفها بالتفوق وثانياً هي لا تجيد الكلام ولا المجاملات ولا المداعبات لهذا فهي تبتعد عن مجتمع لا تستطيع أن تجاريه.

ثم هي قبل كل ذلك وبعده تعلمت من أبيها وأمها روح الالتزام والاحترام خاصة الأب الذي زرع فيها القدرة على اتخاذ

القرار والقدرة على وضع رؤية لها في حياتها ومستقبلها وتحديد هدف تعيش من أجله وهذا كله

أتى بثماره فقد حققت النجاح الكبير، ووضعت قدميها على أول خطوات المستقبل ولكن الشيء الذي كانت تعاني منه دون أن تدري أنها تحولت إلى كتاب قانون بحكم العشرة.. تحولت حياتها إلى بنود ونظام دقيق من استيقاظ إلى محاضرات إلى مذاكرة إلى نوم.. كانت تشعر أن ثمة شيئاً ينقصها هي نفسها لا تعلمه ولكنها تشعر به لهذا كان حينها إلى هذه الشجرة التي تغازلها بفروعها.. ربما أدركت في إحدى مرات تفكيرها أنها في حاجة إلى حنان أمها وأكثر ولكنها عاودت التفكير لتكتشف أن أمها تغمرها بحنانها.. ولما اكتسحتها الأفكار قررت ألا تفكر في ذلك الشيء الذي ينقصها لأنها ستدركه حقيقة واقعة عما قريب...

كل ذلك سقط ناراً على قلوب كل من حولها في النادي... الرجال أعجبوا بها ربما لأن مسلكها يشابه مسلكتهم.. والنساء في العقد الرابع من العمر كن ينخسن منها جداً ويتفنن في رسم عيوب جسدها وملاحمها ويلقبونها بالفتاة المسترجلة والفتيات في سنها

أكلت الغيرة قلوبهن تماماً خاصة بعد تفوقها الدراسي ولإعتزالهن
وكن يرددن دائماً أن هذا الأدب الجم إنما تخفى به قدارتها؟

ها هي تمرق اليوم بين الجميع توزع ابتسامتها الواثقة على
الجميع وتجلس في مقعدها، ولكنها اليوم دون كتب أو صحيفة، هي
اليوم تريد أن تريح ذهنها. دار الحوار بين جماعة من جماعات النادي.
- ها هي أتت.

- لم تقل حتى صباح الخير... تزدرينا؟؟

- نحن أبناء أعلى طبقة بالمجتمع تزدرينا هذه الحمقاء.. أبي
يستطيع بسهولة أن يطيح بأبيها المعتوه مثلها.

كان يتوسط الجلسة صامتاً وقد حدق بها.

- رمزي.. رمزي.. لماذا تحدق بها هكذا.. ستلاحظك

ورد رمزي.. أنها ليست لغزاً إنها فقط لا تجد في كل من حولها

من يحظى بإهتمامها.

- ألم أقل مغرورة؟

- لا يا رمزي أراهنك أنها منحطة في ثوب معتزلة بتول.

- ترى يا بنات هل لها رغبة جنسية مثلكن؟

- ودارت الضحكات الرقيقة وردت احداهن.
- أنت أدري منا.
وازدادت الضحكات.
ورد رمزي - هذا النوع شديد الرغبة.
لا تضيعوا الوقت مع البتول نحن أمام حفلة عيد الميلاد
الليلة.. كل عام وأنت طيبة يا سوزي.
انطلقت التحيات على سوزي من كل إتجاه.
فردت سوزي.. أريد هدايا ثمينة.
- سمينة جداً يا سوزي.. وتدور الضحكات.
ولكن رمزي كان قد تعلق بها فأدرك الجميع ذلك
- هل أصبحت متيمماً؟
- لا.. ولكن هناك شيء ما فيها يجذبني.
فردت سوزي في سرعة إنها الرغبة يا رمزي هذا كل شيء
فالممنوع مرغوب.
- ربما.. دعونا من هذا الأمر الآن.. ما ترتيب الليلة؟
- سنجتمع الليلة الساعة التاسعة مساءً

- لنسمع الأخبار.
- وتدور الضحكات
- ونطفئ الشموع
- كم شمعة سنطفئ يا سوزى؟
- شمعة واحدة فقط.
- ونقدم الهدايا
- رد رمزى.. شقتى ترحب بكم الليلة
- شقتك؟! إنها شقة الجماعة كلها أنت مجرد صاحبها فقط
- رمزي: وستكون تكاليف الحفلة من جيبي الخاص.
- لا يا رمزى.. نصيبك هو التورته وخلافه وطبعاً الشمعة
- وأنا الويسكى.
- وأنا السجائر والبانجو.
- وأنا شريط الفيديو الجنسى... فيلم فرنسى رائع.
- يا رياح الثورة الفرنسية هبى.
- لا يا عزيزى يا رياح الثورة الثقافية الصينية هبى.
- وتعالى ولكن عينا رمزى لم تسقط عن مها كان هذا اسمها.

في المساء..

أطفأوا الشمعة المضيئة نفخة واحدة.. تبادلوا القبلات مع سوزى انطلقوا إلى البار ليغترقوا بكؤوس من الخمر.. بعد دقائق كونوا دائرة حول الفيديو وقد أشعلوا السجائر البانجوية في يسراهم السيارة وفي يمانهم كؤوس الويسكى.. أدار رمزي الفيديو وتالت مشاهد الفيلم الفرنسى.. كانت سوزى التى جمّعت هداياها بجانبها قد أوغلت يمانها بصدر رمزي ولكنها وجدته مشغولاً عنها.

- هل يعجبك الفيلم لهذا الحد.. أنه مكرر.. ضعيف؟

- لا.

- ماذا أذن يشغلك؟

- مها.

- إلى هذا الحد اشتيتها؟!

- إلى أبعد مما تتصورين

- ولماذا لا تحاول معها.. أنت أوسم شاب في النادي كله

- سترفض

- لا أعتقد.. أنها قدرة صدقني

- على أية حال لقد قررت أن أصطادها.
- ساعتها أطلقت ضحكة كأنها انتصرت قامت وقد طوحتها الخمر والسيجارة.. أغلقت الفيديو فاستاء الجميع ولكنها سارعتهم.
- إليكم هذا الخبر الهام يا جماعة الحب الأزلى.
- ما هو؟
- رمزي قرر أن يصطاد البتول المعتزلة.
- ها هو الرأي... لابد من كسر أنفها
- لابد من فضحها
- لابد من مضاجعتها.. سنجعلها مشاعاً.
- ومتى التنفيذ؟
- من الغد.
- وما تقديرك في الوقت؟
- شهر
- والمكان؟
- هنا.. سأستدرجها وأضاجعها وتداهمونها عارية.
- المعيدة القانونية الحسنة... عارية.. حلم جميل.

- أعيدى تشغيل الفيديو.. أعادت سوزى تشغيل الفيديو ولكنها كأنها تريد شيئاً ما.. صاحبت رمزى إلى حجرة النوم وسألته بعد أن أفرغت الكاس في جوفها؟

- رمزى.. الفرق بين الحب والرغبة شعرة.
- لا تقلقى يا سوزى أنت تعلمين أنك حبي الوحيد.
- ارتقت في أحضانه وقد أخذت تفك أزرار قميصه البرتقالى.
- رمزى.. هيا.. هذه ليلة عيد ميلادى.. أريد متعة لم أتمتعها معك من قبل.

أطفاً السيجارتين البانجوتين وكان اللقاء الوحشئ.
في الصباح كان رمزى يتقدم المناضد ليصل إلى مها الجالسة في هدوئها المعتاد.. كانت تنظر إلى الأفق ترشف الرشقات الأخيرة من شايبها.

-صباح الخير يا آنسة مها.
- أسقط في يديها.. من هذا الذى يعرفنى بل ينادينى بإسمى؟
لم يكن لها علاقة بأى شاب إلا في حدود زمالة الجامعة البريئة..
ارتبكت أول الأمر.. وضعت فنجان الشاى بهدوء في طبقه وردت

في هدوء

- صباح الخير

انتهز فرصة انتظارها تلك الثواني لترد وقد أخذ يحدق في ملامحها.. أثارته تلك الملامح الأنثوية.. العينان الخضراوان.. الرموش الطويلة.. الحواجب المرسومة الثقيلة.. الكحل الأزرق.. الوجنتان المتودرتان.. الشفتان الرقيقتان أحمر الشفافة البسيط الوردى المثير.. الجيد الرقيقة التي تجعل وجهها رقيقاً.. الشعر الأسود المحكوم بحزم في ذيل الحصان..

الحليّ الرقيقة اللؤلؤية البسيطة الغالية.. الأنامل الطويلة دون نحافة ودون امتلاء وطلاء الأظافر الأحمر وقد ازداها بهاءً وبهاءً. ورغم أن الثواني لم تمهله إلا أنه تخيل الجسد بكل دقائقه ساعده على ذلك الرداء الشفاف وخبرته النسائية العالية..

لم يرد عليها في بادية الأمر فقد آثر أن ينتظر لثوان أخرى حتى يحدد عدة أشياء مدى قابليتها له كيفية الانتقال إلى الخطوة الثانية في هدوء.. ثم جاء صوته الرخيم.

تسمحى لى بالجلوس؟

ردت بهزة هادئة من رأسها دون تكلم.. جلس.. ابتسم
ابتسامة صافية ولكنها في داخله كانت ابتسامة الصياد الذى أدرك
الطريق إلى الفريسة.. كان قد قرأ في سرعة وجهها وأمعن النظرات
في عينيها الرائعتين.. أدرك أنها طيبة جداً وخام جداً ويسهل خداعها
رغم تفوقها الدراسى وقرر بسرعة البرق وضع الخطة التى كانت
تتلخص فى كلمة واحدة (الرومانسية) كررها فى نفسه نعم إنها
(الرومانسية) هذه الفتاة رومانسية رقيقة.. تبحث عن الحب.
فشرع فوراً نسج خيوط الشبكة.

- آنسة مها قد تتعجبين من جرأتى ولكن عندما تعلمين
الحقيقة ستدركين أنى كان لابد أن أخطو هذه الخطوة فى هذا
الوقت خاصة.

كانت تود أن تسأله عن أشياء كثيرة أهمها كيف عرفت اسمى
ولكنها آثرت الصمت...

رغما عنها كانت تحدى فيه.. حاولت أن تزيغ بصرها عنه
ولكنها وجدت نفسها منقادة إلى عينيه.. كانت تحاول استكشافه..
عيناه السوداوان شعره الناعم.. بشرته البيضاء.. ملامحه المتناسقة

الجميلة.. أدركت أن بهذا الشاب سحر ما لم تتعود عليه ولكنها
أرجأت كل ذلك إلى حين وأكمل؟؟؟

- أحب أولاً أن أعرفك بنفسى أنا رمزى.. صيدلى.. تخرجت من
خمس سنوات ولدى صيدلية بمصر الجديدة.

كان سحره قد بدأ يتسرب إليها.. شىء ما بداخلها كان يوحى
لها بالانجذاب لهذا الشاب.. لا شىء تعرفه ولا تعرف من أين جاء..
أخذ قلبها يخفق بشدة حتى أنها أصبحت تحاول إخفاء تهديج
أنفاسها.. لم ترد عليه.. فأكمل

- أنت انهيت العام المنصرم دراستك الحقوقية وكان ترتيبك
الثالث على الدفعة بتقدير جيد جداً مع مرتبة الشرف... وهكذا
أصبحت مؤهلة لأن تكونى معيدة بالكلية.

ولأول مرة ظهر أول رد فعل على ملامحها.. كان التعجب كيف
عرف هذا؟

ولكنه قابل التعجب بابتسامة ثقة شديدة وأكمل.
كنت أريد منذ خمس سنوات الجلوس معك هذه الجلسة
ولكن التردد كان حليفى.. نعم.. إنه التردد.. لأن هذه الجلسة

يتوقف عليها الكثير من تفاصيل حياتي.. نعم.. تفاصيل حياتي..
وأنت عندما تكونين بصدد موقف مصيري لابد أن تترددي فيه
لأنتك تخافين الإخفاق.. أليس كذلك؟

لم ترد بل أومأت برأسها علامة الموافقة.. صمت، مرت الثواني
بطيئة كأنه يستجمع قواه ليقذف السهم.. كان يوجه عينيه إلى
عينها في شدة وحنان معاً ولكنها لم تقو على النظر إليهما كانت
تهرب بعينها بعيداً ولكنها كانت آذاناً صاغية.. شجعه دوران
عينها بعيداً عنها في أن يتمادى فقد أدرك أن ذلك الهروب الأخضر
لتأثيره عليها

قال في هدوء..

مها.. آنسة مها.. أنا لا أحبك فقط.. أنا أعشقتك.. أعشق كل
ما بك.. ملامحك الرقيقة.. عينيك الخضراوين الرائعتين... أخلاقك
الراقية.. شخصيتك الناضجة.. إرادتك القوية.. حتى أزيائك البسيطة
الجميلة... حتى حُليك اللؤلؤية الجذابة.

ما أنت إلا لؤلؤة ناصعة في محارة تحت أعماق البحار وقد
كان لزاماً عليّ أن أنتظر خمس سنوات كاملة حتى تنضج اللؤلؤة.

سقطت كلماته عليها كالصاعقة.. أحرقتها كلماته ومعانيها..
 اكتسحها الاضطراب لم تكن تدري ماذا تفعل وماذا تقول
 حب؟ خمس سنوات ؟ عشق ؟ ملامح.. عينان.. شخصية..
 أخلاق.. حُلَى؟؟ ما كل هذا.. لقد سقط حجر كبير في نهرها فأحدث
 موجة رهيبية أودت بالسكون الذي اشتهر به النهر فتحول إلى
 خضم مضطرب لا تعرف ما الذي أتى بالشجرة في خيالها بهذه
 اللحظة.. كل ما كانت تعرفه أن ثمة سلطة لهذا الرمزى عليها وأن
 هذه السلطة تغتالها حثيثاً تحيلها إلى جارية له ورغم أنها في هذه
 الدرجة العالية من العلم. بل أدركت أن ثمة شيئاً ما يرويها كأنها
 شربت نهر النيل.. شعرت أن ذلك النبع الذي سقاها الجفاء ينزوى
 ويحل محله ينبوعاً من ماء يروي أعماقها.. نعم شعرت لأول مرة
 أن أعماقها ترتوى بالحنان والحب.. وقعت هذه الكلمة عليها
 موقع الصدمة.. الحب؟! كيف تحب هكذا في ملح البصر ؟ لا ليس
 هذا الحب هكذا حدثت نفسها ولكنها في نفس الوقت فشلت في
 تفسير معنى هذه النشوة التي أخذت تدغدغها وهذا الحنان الذي
 يسرى في ثناياها.

لم تتكلم واهتبل رمزي هذا الاضطراب الذي اكتسحها فلاحظه
من عينيها.

- مها أنا لا أريد منك شيئاً.. فقد راقبتك في صبر سنوات وترددت
بمصارحتك سنوات.. أنا لا أريد أن أفشل معك.. لأن الفشل يعنى
في بساطة نهايتي.. لقد استوليت على قلبى وحياتي.. كل ما أطلبه
منك أن تفكرى في هذا الحب وفي مستقبلنا معاً.. أننى أعرض عليك
الحب والزواج ولكننا ونحن في بداية القرن الحادى والعشرين
لا أطلب منك إلا أن تكونى موضوعية في قرارك وألا ترفضى وألا
تقبلى هذا الحب إلا بعد أن تعرفى ما تقرريه أنت عنى.. عن حياتى
العلمية والعملية والعاطفية.. هل هذا كثير؟

بدأ الذهول يتضح تدريجياً فى عينيها فلم ترد فأكمل:

- هذا رقم تليفونى (وضع أمامها ورقة بل كل معلوماته)
فى لحظة تبدل الذهول إلى غضب كأنها تقول كيف تجرؤ
وتطلب منى أن أحدثك تليفونياً؟
أدرك خطأه المتسرع فحلاقتها.

- أنا لا أريد أن تطلبينى ولكنه إجراء احتياطى فإن إحتجت

إلى صديق سأكون سعيداً أن أكون أنا هذا الصديق.. أما أنا فأنا أعرف بالطبع رقم تليفونك وسأطلبك في وقت قريب.
 ولم ترد.. لم تكن تعلم ماذا تقول له.. هل تقول لا تطلبني كأنها ترفض هذا الحب الذى على ما يبدو أنها في حاجة إليه أم تقول له نعم..؟ إنها تخجل أن تقول له نعم.. لأنها بذلك تكون قد قبلت الحب وهى لا تعرف عن صاحبه شيئاً؟
 وأكمل...

- أنا لا أريد منك شيئاً الآن ولكن اسمحى لى أن أشاهدك من بعيد فى النادى.. سأجلس على مقربة منك دون حديث فأنت تحضرين فى تمام الحادية عشرة من الصباح يوماً عدا الخميس والجمعة.. لا تحرمينى من رؤيتك بعد أن صارحتك بحبى.
 أستأذنك..

قام وقد شعر بحاسة الصيد أن الشبكة قد نسجت وأن الصيد سيقع ما لم يكن وقد وقع بالفعل.
 أما هى فقد تنفست الصعداء بمجرد انصرافه فهى لم تكن قادرة حتى على النطق.. اكتسحها الاضطراب والتخبط فلم تعد

قادرة على الحسم وهى التى تعودت منذ صغرها على الحسم. كانت ترفض كل ذلك ولكنها تعود تقبله ولم لا تقبله والزواج والحب أمر طبيعى خاصة أن تقديمه المهذب لحيه وحاجته قد نال منها الرضا؟ كان الاضطراب.. نعم.. يكتسحها ولكن الشيء الغريب الذى لم تستطع مقاومته هو ذاك الشعور الغريب بالحنان الذى استولى عليها.. كانت تشعر أن ثمة نبلاً قد تفجر فى أعماقها فلم تعد تشعر بعد - كما مضى - بأنها جافة أو أن حياتها كشجرة فى قلب الصحراء.. عندما تأكدت أنه انصرف مدت يدها وأخذت الكارت قرأت اسمه وأرقام تليفوناته.. دسته فى حقيبتها الرقيقة.. وقامت كأن العالم كله يراقبها..

ساعتها ضحكت سوزى التى كانت تجلس بالقرب منها فاطمأنت بعد أن أخذت الكارت أن الأمور تسير على ما هو مطلوب.

لم تعرف كيف قادت سيارتها إلى الفيلا بالمعادي.. كسرت كل الإشارات كادت تصطدم بعدة عربات حاصرتها الكلاكسات من كل مكان ولكنها فى النهاية وصلت.. لم تحدث أحد.. صعدت مباشرة إلى حجرتها أسندت ظهرها إلى الباب المغلق تطلعت إلى فروع الشجرة

اليافعة ابتسمت.. ارقمت على المهدي العذري بعد أن أطلقت زفرة حارة...
 أخرجت الكارت.. قربته إلى أنفها الدقيق.. اكتشفت أنه معطر
 بعطر رائع أدركت أن الكارت رسالة رقيقة لا مجرد كارت.. أعادت
 قراءة البيانات عدة مرات ومنذ تلك اللحظة كانت تتطلع إلى
 المسرة ورنينها فقد كان هذا الرنين يحمل لها المزيد من الارتواء
 والمزيد من الطمأنينة ليسكن هذا القلق القلق الصدري الذي بدأ
 يوج بعواصف المشاعر.

أما هو فقد قرر وحسب الخطة المقررة أن يمهله ثلاث أيام
 حتى يعاود الظهور لها مرة أخرى.. كان هذا ليثيرها أكثر فتقع في
 حباله أكثر.. لاحظ أبوها القلق الذي بدأ يرتسم على وجهها ولكنها
 طمأننتها عندما سألها ولاحظت أمها أنها قد تعلقت بالمسرة فسألته
 هل تنتظرين محادثة من أحد؟

كان ردها لا بالطبع...

ومع هذا الانتظار للرنين وجدت نفسها منساقة إلى النادي
 وفي نفس الموعد الذي تعودت أن تذهب فيه إلى النادي.. وراقبتها
 الجماعة وقد حاصرتها عبر ثلاث مناضد حولها.. أربع أشخاص في

كل منضدة... كانوا يتحدثون ولكنهم كانوا يلاحظونها جيداً.. وأول ما لاحظوه هو أنها لم تعد تجلب معها كتب أو مجلات وأيضاً أنها أصبحت تحدق في الطريق المؤدية إلى ساحة الجلوس التي هم فيها، كأنها تنظر شخصاً ما فإذا ما انتهت من التحديق في الشخص الذي لا يحضر من الطريق عادت تنظر إلى الأفق كأنها تنتظر الأفق...
مرت ثلاث ليال وفي الثانية صباحاً من الليلة الرابعة دق الرنين وبعد برهات رفعت السماعة لم ترد أول الأمر.. تمالكت نفسها فقد كانت تشعر أنه هو فعالباً لا يدق الرنين بعد منتصف الليل..
كبحت جماح أنفاسها المتلاحقة وردت

بعد ثواني جاء صوته المفعم بالهدوء والذكورة

- مها

- نعم

- كنت أعلم أنني سأسمع صوتك أنت دون غيرك من الأصوات ولم ترد.. فأكمل.

- هل لاحظتني أنني أنا الذي أتكلم وأنت لا تتكلمين مطلقاً؟

- أنا لا أجد ما أقوله.

- ربما تكونين خاجة.

- ربما

- دعى قلبك يتحدث

(في هذه اللحظة كانت سوزى تعطى رمزى كأساً من الويسكى وتندس تحت الغطاء الوثير عارية في المهد بجانب رمزى وقد أخذت تقبل صدره العارى فيطالبها بالإمهال حتى يفرغ مما هو فيه.

- قلبي؟

- نعم.. قلبك

- أنت تتسرع

- أنا لا أتسرع. وإنما أحاول أن أكون صادقاً معك.. أنا أتحدث

من قلبى ولا أريد إلا أن تتركى قلبك حراً وأنا أعلم أنه سيختارنى.

- هل هذا غرور؟

- بل هو الأمل فى حبك.. فى نظرة من عينيك الجميلتين هذا

كل شىء.

- أنا لا أستطيع أن استمر أكثر من ذلك.

- أراك غداً.

- لا أعلم... مع السلامة

ووضعا السماعة

زفر رمزي زفرة حارة فلاحظت سوزى اضطرابه فزجرته بنظرة مستترية ولكنه ابتسم. دس يده بين نهديه ليخفى شيئاً ما في نفسه. أما هي.. مها.. فقد ارتقت في مهدها العذرى وقد تاهت عن الوجود.. كان صوته يحمل في ثناياها مزيداً من السلطة فتهدى إلى جارية عن طيب خاطر.. كان صوته مزيداً من السحر يغتالها فيطير قلبها كعصفور في صدرها فلا تلاحقه ولا تهدئه اغمضت عينها وراحت في حلم جميل وقد أخذت الدغدغة تغمر جسدها. لم تنم إلا ساعة على الأكثر هذه الليلة فقد كانت تنتظر ذلك الموعد المقدس الذي ستره فيه.. الحادية عشرة.. في هذه اللحظة ستشرق حياتها بوجهه ويغمرها لحظة بهذا الحنين الجارف. في تمام الساعة الحادية عشرة كانت مستقرة في مقعدها المعهود والجماعة المتناثرة على مناضدها في انتظارها.. وهي كما هي في كل يوم بين الطريق والأفق وصدق حدسها، بعد دقائق جاء في ثقة يرتدى قميصاً أحمر قد عكس بشرته الناصعة.. إتجه إليها

مباشرة ابتسم.. ابتسمت.. جلس.. حدق بعينها.
 وجددهما حمراوين تحتها هالات سوداء فأدرك أنها لم تتم
 أسرها في نفسها وتقدم في طريقه
 - أنت مشرقة اليوم.. كعادتك
 - أشكرك.

ودار الحديث حديثاً هو يبحث في كل كلمة يحاول من خلالها
 النفوذ إلى غورها فينفخ فيه بجميل الكلم فيثنى على جمالها وعلى
 شخصيتها ويتساءل في لهفة عن مستقبلها ويتعرف على خططها..
 يناقش في اقتضاب ودبلوماسية حتى أدرك كل ما تنويه في حياتها
 كانت تحكى وهى سعيدة فهذه أول مرة يستمع إليها شخص بهذا
 الاهتمام وهذه هى أول مرة تطرح فيها أفكارها الشخصية وآرائها
 في الحياة والمجتمع على شخص قد بدأت تميل إليه.

وبالمقابل أخذ يروى لها عن حياة كلها أكاذيب فالحقيقة
 الوحيدة التى قالها لها هى قد قالها لها فى المرة السابقة فهو فعلا
 صيدلى وأبوه التاجر اشترى له صيدلية فى مصر الجديدة بعد تخرجه
 مباشرة أما عبثه فهو متوقع ككثير من أبناء جيله أما ما قاله بعد

هذه الأشياء فكله محصن أكاذيب فمثلاً قال لها أنه اشترى شقة الزوجية من دخل الصيدلية التي اعترف لها أنها من جهد أبيه وهو لا ينكر ذلك ولكنه رفض بعد ذلك أن يأخذ من أبيه أنة مساعدات مالية بل أنه يسدد له ثمن الصيدلية على دفعات وأنه على وشك الانتهاء من الماجستير في الصيدلانيات رغم أنه ليسه كدرأ جامعياً ولكنه انتهز فرصة منحة دراسية واهتملها..

وأنه كثير القراءة وهنا استقى بعض المعلومات التي اقتنصها من مذياع السيارة وأذاعها إليها بدوره فحاورها في اختصار شديد عن السلام رغم أنه لا يعلم حتى أين تقع أو سلو وماذا تم بها وحدثها عن مشاريع التنمية وذكر لها أسماء وهمية انطلت عليها.. وانتهى الحوار بعد أن أهداها وردة حمراء وقال لها أنه سيطلبها الليلة في تمام الثانية صباحاً وعندما عارضت قال أنه سيقول لها كلمتين فقط (مساء الخير) ووافقت خاجله. كان من الواضح أنه يتقدم بنجاح في خطته وما زاده ذلك إلا سعيراً فقد كان يستغل كل الفرصة المتاحة له ويغرس بصره في جسدها الوردى الرقيق ويحلم معها بليلة تذهب هذه الحمى التي تملكته منها.

وتتابعت المكالمات والضحكات والمحاورات واللقاء حتى شعر أنه تمكن منها وأن مسألة حبها له قد أصبحت محتومة وأن اعترافها له مجرد وقت. في اليوم العاشر من اللقاء الأول وبعد أن ناورها ساعة كاملة أصر أن يسمع منها كلمة تبرد نار حبه لها.. أراد أن يسمع منها كلمة رضا أو حب فعارضت كلمة الحب بخجل ولكنها أفصحت عن الرضا عنه فاعتبر ذلك أنه حب في صورة خجولة.

بعد أسبوع وفي محادثة تليفونية بعد منتصف الليل وبينما كانت سوزي تعبت بجسد رمزي كان رمزي مصرّاً معها على أن تفصح له عن حبها.. ضغط عليها بكل قوة.. توسل إليها أرسل إليها قبلة رهيبة عبر أسلاك المسرة ارتجفت لها أعضائها وبعد جهد قارب الساعة قالتها في بطة.

- ب... ح.. ب.. ك

وأغلقت المسرة على الفور.. ارتمت على مهدها وقد أدمعت عينها الخضروان من شدة الفرحة والتأثر أما هو فقد ارتقى على جسد سوزي البض ربما لينسى شيئاً ما.

منذ أن قالت له كلمة (أحبك) كأنها قد اعترفت بالسيطرة

عليها فراحت تغمره بهذا الحب على خجل وتطالبه بصورة له
 وبتحديد لقاءات معه ومواعيد ثابتة للمسرة وأحاديثها الرهيبة
 وكان يستسلم.. متظاهراً.. حتى يحوز ثقتها وساعتها يقتنص
 البكرة.. في هذا اللقاء الصباحي بالنادي طالبها بنزهة معه في
 سيارته فعارضت لأن الأسرة لن تسمح لها فهي لم تتعود الخروج
 مساءً إلا مع والديها.. أسر لها فكرة أنها تحضر حلقة عيد ميلاد
 زميلة لها.. ونجحت الفكرة.. كانت هذه هي المرة الأولى التي
 تجوب بها شوارع القاهرة بدون والديها ولكن شجعها على ذلك
 أنهما انطلقا بسرعة جنونية في شوارع واسعة وقد لفهما الظلام
 وضاءة الشوارع الخافتة.

انطلق بها وقد كان يعلم مستقره إنه شارع المطار حيث
 اصطفت سيارات العاشقين.. كل مع وليفة وثالثهما الحرية.
 أقنعها بأنه قد آن أوان أن يتحادثا.. رفضت أن تجلس معه
 في مكان عام ووافقت أن تنزوي السيارة في شارع المطار ليلتقطا
 أنفاسهما من هذا الطريق السريع.. دس شريط أغنية شبابية
 بمسجل السيارة أطفأ الأنوار فغرقا في ضوء خافت.. أغلق زجاج

النافذتين إلا قليلاً فساد هدوء معقول.. ولأول مرة مد يده إلى يدها.. كانت يدها ساخنة إلى درجة أذهلته فأدرك أنها شديدة الاضطراب شديدة الدفء

حدق بعينها طويلاً فابتسمت ودارت بعينها إلى نهر الطريق.. أدار وجهها بأنامله فعاد يواجهه.. ابتسمت مرة أخرى.. اعتصر يدها.. تداخلت الأنامل.. أطلق صوته الذكوري العاصف.
- أحبك.

كانت تدرك أنها على وشك حدث هائل في حياتها فهي لأول مرة تلمس ذكراً... شعرت أن كل جزء فيها ينتفض حتى شفيتها. حثيثاً اقترب وجهه من وجهها شعرت بأنفاسه المفعمة بالدخان وبرائحة عطره الذي جرّبته من قبل عبر الكارت ومازال يهدئها نفس العطر ليل نهار.. لم تستطع أن تميز رائحة غريبة في أنفاسه.. لفحتها أنفاسه فعصفت عينها كأنها تستسلم لقدر حتمى.. إلتقت الشفاة في قبلة عميقة.. صرخت من أعماقها (ما هذا) كانت أول تجربة لها مع ذكر.. كانت أعماقها قد ارتوت من قبل حناناً إثر ذلك الحب العذرى الذى احتواها ولكن مع هذه

القبلة تفجرت فيها أشياء أخرى.. كانت هناك متعة تسرى مع شفيتها إلى أوصالها كانت هناك قشعريرة تنبثق من شفيتها إلى جسدها كله نهد ثدياها.. تلاحمت ساقيهما.

أدرك أنها تتذوق العسل لأول مرة في حياتها.. شعر بهذا الانقياد اللذيذ فهمى عليها.. ها هي اللحظة التي كان ينتظرها.. لحظة الاستسلام لحظة سقوط الفريسة في الشبكة الحقيقية.. عبث بها.. لم يترك موضعاً لم يلمسه أو يطحنه.. فك أزرار ثوبها فانكشف الصدر فحولهما إلى جمرتين من لحم ودم لم يتركها إلا وهي فاقدة الوعي.

تهدجت أنفاسه نظر إليها وقد تذررت في إغفائه عذرية بريئة.. كان من الممكن أن يستطرد العبث بأعضائها ولكنه آثر أن يفيقها فقد بددت هذه الاغفاء العذرية شيئاً من رغبته.. هزها برفق.. ربت على خديها.. استفاقت قالت من خلف الدغدغة.. أين أنا؟ كان كل الباقي سهل.. زررت ردائها.. أدار السيارة.. وصلت إلى البيت ومنه إلى حجرتها.. ارتمت على سريرها.. شعرت أن شيئاً ما داخلها قد تغير.. كانت هذه القبلة وهذا العبث الحد الفاصل

بين العذرية وبين غيرها.. اشتدت أزمته فقد كانت تكابد بالأمس القريب ذلك الحب والحنان اللذان رويا صحراء حياتها القانونية ولكنها الآن تكابد ذلك اللهب المنبعث من جسدها يحمل توقيع عبث حبيبها بها فاستجابت له كل أعضائها وجدت نفسها تحتضن وسادتها البيضاء.. تضمها بعنف إلى صدرها وبطنها وساقها.. تساءلت عن هذا الاجتياح اللذيذ وتساءلت عن مقاومتها التي أصبحت في مهب الرياح..

وبالطبع لم تتم في هذه الليلة وبالطبع أصبحت أسيرة القبلة والعبث بل أسيرة نداء الجسد لم تعترف أولاً بسطوة المتعة عليها ولكن هذه المتعة كانت تدفعها دفعاً إلى الاحتكاك برمزي.. لمسه مصافحته وبالطبع تقييله... لم تطلب هذه القبل ولكنها لم تعد تمنعها..

وتكرر مشهد السيارة بطريق المطار وشيئاً فشيئاً ذهبت الاغفاءة وأتت اليقظة بل والاشتهاء والانتظار حتى تصل إلى ذروة انفعالها فتبكي من شدة النشوة ساعتها تساءل رمزي فما بالها لو ارتوت كما تدرى سوزي؟ في هذه الليلة عرض عليها أن تحضر إلى شقته ليكونا على راحتيهما ولكنها داهمته بمطلب آخر وهو لماذا

لا يزور أهلها في البيت ويطلبها للزواج؟ كان السؤال مفاجأة ولعل هذه المفاجأة هي التي أنقذتها من الخطة المحكمة فعلى الفور زاغ بصره ولم يجد إجابة.. فكر دقيقة كاملة كانت كافية أن تقضى على رغبتها المتأججة وتثبت فيها شكاً جديداً.. كان السؤال منطقياً وبسيطاً وبديهيّاً وهكذا فالتردد أوحى لها بأن ثمة شيئاً يدور في ذهنه لا تفهمه.. تدارك كل هذا في سرعة وقال لها بعد أسبوع سأحضر إلى البيت.. كان قد قرر في سرعة أن هذا الأسبوع سيشهد نهاية القصة بالكامل.. سيوقع بها في الشقة قبل نهاية الأسبوع وتراها الجماعة عارية كما وعدهم.. تلك الجماعة التي أصدرت حكمها عليه بأنه لم يعد دون جوان وأنه فشل معها فقد انقضى الشهر ولم تقع في الشبكة. كان الهدف واضح وهو البكارة والعري والفضيحة لا تلك القبلات الهائلة والعبث المراهق على قارعة طريق المطار... كان هدفهم واضحاً وقد أصبح رمزى هدفاً لهم. كانت سوزى هي صاحبة التصميم على فض البكارة والعري وهي التي أشعلت السخرية ضد رمزى فأصبح الأمر برمته مسألة كرامة.. ولكن هذا السؤال الالهامى أنقذها.. أدرك عقلها الذي كان لا يزال

يعمل ببعض قليل من قوته أن ثمة شيئاً غريب يدور حولها.. قبل هذا السؤال وبدافع من تيار الحنان الذي غمرها وطوفان الرغبة الذي اكتسحتها كانت على استعداد أن تذهب معه إلى المريخ لا إلى مجرد شقة وكانت تعلم أنها ستذهب من أجل أن تظفر معه بلقاء جميل بعيداً عن العيون.

بالطبع لم تكن تتعمد لقاءً جنسياً ولكن كان أملها فيه أن تظفر بالقرب والحب والحنان وبالقبلة الرهيبة وبهذا العبث الذي يحيلها إلى مخلوق في عالم آخر، لم تكن تدرك بالطبع أن في العزلة وفي الشقة البعيدة لن تستطيع أن تكبح جماح هذا العبث وتتحول إلى امرأة في دقائق...

ألح في الانفراد بها بالشقة ولكنها أبت وأصرت مع تمسكه بالأمر وكان هذا كفيلاً بتعديل الخطة المحكمة.

اقترحت سوزى نهاية جديدة للخطة قبل الأسبوع الذي حدده رمزي وهي ببساطة أن يداهما مها وهي نصف عارية في السيارة في طريق المطار...

حدد معها موعد ليشرح لها كيف سيحدد الموعد مع أبيها

وماذا سيقول له، وأطاعت وحدد لها خطة وهمية بكل التفاصيل وبعد إتمام التفاصيل انطلقا إلى عاملهما من التقبيل والعبث كانت الإشارة هي أن يضغط ضاغط أنوار الانتظار هذه هي لحظة المداهمة الخارجية أما الداخلية فهي أن يثيرها إلى درجة عدم المقاومة فيسقط عنها نصف رداؤها فتكون لحظة العرى الذي بحده الأدنى.. يرضى غرور الجماعة، واستسلمت وصال وجال ولم يتوقف رغم مناجاتها له بالتوقف. تحول إلى ثور كاد يمزق رداؤها فطاوعته وهبط الرداء العجيب إلى الخصر وفي لحظة انطلقت أضواء الانتظار الأربعة في أركان السيارة وفي لحظات داهمتها الجماعة بيمينهم زجاجات الخمر وبيسراهم السجائر البانجوية لأول وهلة لم تصدق.. من هؤلاء؟ سمعت أقوالهم التي مزقتها

- هذه حقيقتك يا بتول
- مجرد عارية
- اللعبة واضحة
- المباراة انتهت؟
- خدعك رمزي والسلام.

- دارى نهديك الجميلتين يا معيدة القانون.
 - تخصصى فى قضايا الآداب
 - اشربى.. اشربى يا صغيرة.
 - معلهش.. خيرها فى غيرها.
- ارتدت ثيابها وقد احتواها الذهول كل ما رأته أن رمزى - حبيبها
- قد التقت منهم سيجارة أخذ يدخنها بشراهة وقد أولاها ظهره
- أدركت كل شىء.. أدركت أن الأمر مجرد لعبة.. كم كانت كلمة
- لعبة رهيبه الوقع على نفسها.. خرجت من السيارة المحكمة غلق
- زجاج نوافذها..
- كانت تجرى على الطريق ودموعها تهطل ودمها ينزف ذلك
- الفجر الزائف الذى أطل بحياتها كانت تجرى ذاهلة هاربة من
- كلماتهم التى ترجمها تعذبها تسحق كبرياءها وشرفها.. ولكنهم
- لم يتركوها فقد طاردوها بالسيارات الفارحة وقد اختلفت ألوانها
- وارتفع ضجيجها.. حاصروها بالسيارات فركضت أكثر وأكثر وبكت
- أكثر وأكثر.. طاردوها وهى لا تعلم لماذا يصرون على هذه الإهانة
- الرهيبه.. حتى انزوت بين الناس فى احدى الطرق الجانبية...

لم تعرف كيف وصلت إلى حجرتها وكيف ارتمت في مهدها الذي لم يعد عذرى فقد شهد أحلامها ورغبتها.. احتقرت كل شيء.. احتقرت رمزي أشد الاحتقار ولكن المفارقة أنها لم تستطع أن تتخلص من حبه بل عاودها أمل في أن يعود إليها من جديد. هي لم تعد تعلم هل هذا الأمل كاذب ليخفف من هول الصدمة أم حدس من قلبها ومن انوثتها لا يخيب أبدا..

السؤال الذي سيطر عليها لماذا فعلوا ذلك؟ ولماذا أصروا بالإصرار الانتقامي العجيب على اهانتها؟

خلف هذا الإصرار لديها نفوراً شديداً من الناس ومن المجتمع.. هذا المجتمع العايب الالهي الذي يستهين بكل شيء بالكرامة والحب والاحترام وقد تفرغ إلى الانتقام.. دارت ذاكرتها مع الوجوه التي رأتها الليلة فأدركت أنها نفس الوجوه التي كانت تحاصرها على المناضد كانت تتساءل لما لا تتغير هذه الوجوه من حولها؟

والآن فقط علمت لماذا لم تتغير الوجوه فقد كانت هناك خطة محكمة للإطاحة بكبريائها.. أعملت في الأحداث عقليتها القانونية أخذت ترتب الأحداث وتذكر أدق التفاصيل أدق اللمحات أدق

النظرات أدق الضحكات ورتبت الأحداث بناء على كل ذلك.. كانت تريد أن تصل إلى الحقيقة وأدركتها.. كانت الخطة هي شرفها.. بكارتها.. الشقة.. الخلوة وبالطبع كان كل ما قاله رمزي لها مجرد أكاذيب ليست مضطرة إلى إثباتها.

- أدركت أنه كان كذوباً وحقيراً ومنافقاً..

تساءلت كيف ستواجه المجتمع.. المزعوم.. بعد كل ذلك؟ كيف وقد تعودت أن تكون جبهتها في السماء تواجه هذه الشرذمة العابثة؟ كيف ستقنع الجميع ببراءتها وأنها لم تكن أبداً لعبوباً وإنما هو الخداع والبراءة التي أصبحت في مجتمع لا يحترم إلا افتراس الصياد بل يحول هذا الافتراس إلى شجاعة وفروسية ونبل ويروح ينكل بالضحية؟ وماذا عن الحب؟ ذلك الحب الذي لم تكن تعرف أنه جميل إلى هذا الحد فإذا به هو الطريق إلى شبكة الصياد؟!

اكتسحها شعور عميق بازدرء كل ما حولها بما فيه نفسها لأنها سمحت لنفسها أولاً أن تحب ولأنها سمحت لهذا الحب أن يتحول إلى محادثات تلفونية ومقابلات خارج حدود المقبول ثم إلى رغبة جنسية.. نعم رغبة جنسية، إنها لأول مرة تعترف بهذه

الكلمة.. اعترفت أنها كانت تحت رحمة رغبتها وأن هذه الرغبة لولا لمحة عقلية غير مقصودة كانت ستحيلها إلى رفات امرأة في قبر المجتمع المزعوم.

فكرت في التخلص من كل هذا الخداع والازدراء والرغبة والانتحار. سيطر عليها هذا الشعور ولكنها أدركت بعقليتها القانونية أن هذا الانتحار سيثبت انتصار الشرذمة العابثة عليها وأن الانتحار في حد ذاته ليس عملاً نبيلًا وإنما هو صورة من هروب كبير.. وتساءلت تهرب من من؟

أمن مجتمع كل ماله هو القيل والقال؟ مجتمع لم يستطع حتى هذه اللحظة إقامة حياة سليمة في أي اتجاه فلا عدل ولا ثقافة ولا علم ولا رياضة؟ أمن شرذمة عابثة ماجنة تهرب وتتخاذل؟! كفكفت دمعها وأطالت النظر إلى فروع شجرتها الصامدة وإلى كتبها القانونية المتراسة في دقة ونظام وإلى صورة والديها وقد استقرت على مكتبها الأنيق.. وقفت وهتفت: لا.. لن أسمح لهذا المجتمع أصلاً أن يحاسبني.. لقد أخطأت والمجتمع كله أخطاء وانهيارات وتصدعات. أنا لن أتحوّل إلى أضحوكة على السنة مجتمع

ينهار.. لا.. لن أسمح لمجرد شرذمة عابثة أن تدمرنى.. أنا أنا ولن أسمح لأحد أن يهدمنى. أصلحت من هندامها وقد قررت أن تواجه هذا المجتمع.. ستنسى كل ما حدث أو ستحاول أن تنسى وستذهب إلى النادي وستواجه الجميع بصرامة وقوة وستذهب إلى الجامعة وتكمل مشوارها العلمي وستحقق حلمها بأن تكون معيدة للكية في يوم من الأيام.

في غمرة كل هذا كان ثمة أشياء لا تستطيع مقاومتها رغم كل قوتها وثورتها أولاً أنها مازلت تحب رمزي وبعنون فهو مازال الذكر الأول في حياتها هو أول من أسمعها كلمة الحب وأول من لثم شفيتها وأول من عبث بجسدها وفجر بها ثورة الأنوثة.. اعترفت في حسرة نعم.. هو الذي حولني إلى أنثى.. وثانياً أنها لم تستطع مقاومة حدساً يقول لها أن ثمة شيئاً غير متوقع سيحدث ولكن ما هو.. لا تعرف!؟

وانتصف الليل وقد قررت أن لها جولة مع النادي غداً.. ستذهب إلى هناك في قمة الأناقة وستتردى نظارة الشمس الذهبية الرائعة وسيكون بيمينها مجلة حواء فهي حواء وستظل حواء.

أما رمزى فقد كانت ليلة صاحبة فهذه الليلة هى احتفالية
نصر الجماعة على مها.. تبرعت سوزى هذه المرة بالفيلم الجنسى
كان أمريكيا كما قالت والباقي تبرع بالسجائر البانجوية والخمور..
ودارت الكؤوس..

كانت سوزى صاحبة فى هذه الليلة تضحك فى هيستريا وتدخل
فى جنون وتشرى الخمر فى شراهة وأدرك رمزى ذلك ونهبها إلى
شراحتها الليلة فقاومته وسخرت منه ومن فشله فهو لم يصل إلى
رغبته مع مها.. واحتدم النقاش حتى صفعها.. خرت باكية.. حاولوا
أن يساعدوها على النهوض ولكنها رفضت صرخت والدموع تهى
من مآقيها:

لماذا لا تعترف يا رمزى.. أنت تحب مها.. نعم أنت تحب مها
هى التى اصطادتك يا دون جوان يا أوسم شباب مصر والنادى أنا
أول من شعر بذلك.. مضاجعتك لى لم تعد بحرارتها الأولى.
صرخ فى وجهها.. أنت مجنونة.. مجنونة.

- لا أنا لست مجنونة.. أنا أنثى والأنثى لديها دائماً الحدس الذى
لا يخيب الأنثى هى التى لا تستطيع أن تدرك الحب دون كلام.

أنت لم تعد تحبنى يا رمزى.. هى التى اصطادتك..
 هجم عليها أوسعها تقبيلاً فارتدت عنه صرخ فيها.. أحبك
 لم تتحدث وإنما ولجت إلى حجرة النوم فى هدوء شديد.. ساد
 الوجوم ولكن ما لبث أن دارت الكؤوس وارتفعت الضحكات ساخرة
 من كل شئ من مها وسوزى ورمزى والخطة المزعومة والحب..
 تابع رمزى سوزى.. أغلق الباب.. كان يود
 أن يهزم الحب بداخله.. لقد شعر بالحب فعلاً يتقدم حثيثاً
 بداخله حتى احتواه.. رفض هذا الحب وقاومه بكل قوته.. فهو من
 ناحية لا يريد أن يكون هو الفريسة ومن مَن؟
 من فتاة بريئة ليس لها سابق تجربة فى عالم الرجال؟! ومن ناحية
 لا يريد أن يكون موضع سخرية من الجماعة كلها ومن أخرى أن
 هذا الحب سينتشله من هذه الحياة الماجنة العابثة التى ارتضاها..
 كان هذا الحب يشعل الثورة على هذا العبث فكيف يستقيم هذا
 الحب مع هذه الحياة الماجنة العابثة الخالية.. إن حبيبته تود أن
 تكون عميدة لكلية الحقوق وربما عضو مجلس شعب كيف سيلتقى
 بهذه الشخصية فى المهده وهو يعلم أنها أنقى وأفضل وأعظم منه!؟

غمس نفسه في جسد سوزى الأبيض.. كان يريد أن يثبت لها أنه لا يزال يحبها هي، وهي فقط فألهبها جماعاً جنونياً كأنه يطارد شبح مها المنبعث في نفسه كأنه يثبت لسوزى أنه مازال يحبها هي وها هو هذا الجماع الوحشى يبث ذلك ومن جهة أخرى يهرب من آثار هذا الحب الذى يعلم هل يموت أم مات.

أما سوزى فقد أقبلت عليه بوحشيتها هي الأخرى كأنها ترتشف من رجولته قبل أن يفارقها وكأنها تتأكد من حبها له عبر السخونة.. وانتهى الجماع ولكنهما فشلا.. أدرك أنه يحب مها وسوزى لم تنخدع بالشرر فقد كان الجمار كاذباً تماماً كالفجر الكاذب الذى أشرق بحياة مها؟! لم يسمع من رمزى وسوزى إلا أنفاس متهدجة تدريجياً هبطت وساد الصمت والوجوم والحيرة.

في الصباح التالى شقت مها طريقها إلى مقعدها بما صممت عليه من ملابس وسلوك.. هالهم هذا الكبرياء العائد خاصة أنها لم تتأثر ولم تلتفت لأى عبارات لأى عبارات شامته سمعتها من هنا وهناك.. كان رمزى في منتصف الجماعة واجماً... أصر على الحضور وقد سحقته رغبة عارمة حارقة في أن يراها..

ورآها شامخة كعادتها.. لطمته بهذا الكبرياء فتمكن حبها منه
أكثر رغباً عنه.. وما هي إلا لحظات حتى استأذن وانصرف تاركاً
سوزى والجماعة حائرين.

مضى شهر كامل بين الكبرياء المتصاعد والحب المتمكن من
رمزي حتى سلّم.

أدرك أن ثمة شيئاً لابد أن يحدث بحياته فهو لا يستطيع أن
يترك هذا الحب الكبير الذي أحياه من بعد موت وبث فيه الكثير
من الرجولة والإرادة.

قرر أن يصارحها بكل شيء وأن يطالبها بأن تعود إليه
وسيكون صادقاً هذه المرة.

في الليل هاتفها كانت محادثة عنيفة قابلتها بها بكثير من
برود وازدراء وأغلقت الخط... عاود المحاولة خمس مرات حتى
استجابت له في الحديث.

كانت ناره تشجيتها تذكى الحب الكامن في نفسها ذاك الحب
الذي لم تستطع أن تقتله.

ودار الصراع مرة أخرى.. ها هو الفجر الكاذب يصير حقيقياً

مشرفاً بل مضيئاً متلهفاً وما عليها سوى أن تغفر وتبدأ من جديد..
ها هو نداء الحب يناديها فلماذا لا تجيبه وثار ذهنها القانوني
وكيف تستجيبين إلى مخادع عابث مستهتر وكيف تضمنين أن الأمر
كله مجرد متعة لم ينالها متعة كتلك المتعة التي لا تزال تمتلكها إلى
اليوم.. رفض عقلها هذا الحب ونادتها أوثاها صاحبة الحدس بالانتقام.
شعرت بنشوة لسبب آخر هو أن ذلك الحدس قد أصاب فيها
هو الشيء الغير متوقع يحدث فيها هو سيجيئى راکعاً طالباً السماح
راجياً الحب والإخلاص.. اليس هذا هو حس الانسان؟!

اختمرت الفكرة في ذهنها.. وقررت أن تقابله.. رفضت أى مكان
خاص وأصرت أن يكون اللقاء في النادي وفي مقعدها وبصحبة
منضدتها ولا بد أن تكون الجماعة كلها محاصرة لهما كالعادة دون
أن يتكلموا على الإطلاق.

كانت خطته أن يقابلها وأن ترضى بهذا اللقاء وهو على ثقة
أنها تحبه وأنه عندما يشرح لها موقفه الجديد ستوافقه حتى ولو
بعد تعب...

حدد الموعد.. شقت طريقها في ثقة وكبرياء.. نظروا إليها في حسرة

وإعجاب تقدم إليها.. كانت ملامحه واجمة.. لم تتحدث وإنما كأول لقاء أسهب وصال وبرر ووعد وأقسم أنه هذه المرة صادق. في هذه المرة كانت هي من تحاصره بعينيها الخضراوين دون نظارتها الذهبية. بينما هو زائغ النظرات.. تدور عيناه في محجريهما.. عندما أنهى حديثه ساد الصمت عدة دقائق وهي لا تزال جامدة النظرات حادة الملامح شديدة المراس.. كان الموقف يفرض أن ترد على كل ما قاله وما أكثر ما قاله.. في كثير من ثقة مللمت أوراق مجلتها.. ثبتت نظارتها على عينيها.. مسحت يمينها على شعرها تكبحه... وقفت فوقف..

نظرت إليه ملياً.. في حركة مفاجئة صفعته صفة رهيبة يمينها هوت الصفة على الجميع كالصاعقة حتى أن بقية الجماعة انتصبت على الفور.. الأدهى من ذلك أنها لم تهرق إلى الطريق بل قالت في ثقة: الخميس القادم خطبتى في فيلتنا. أنت وجماعتك بالطبع محل دعوة.

وسارت في كبرياء.. كان هذا ما ردت به على الخداع ولكن حبها كان لا يزال ينبض بنفسها.. لقد كان قرارها واضحاً.. قتل هذا

الحب.. سحق الفجر الكاذب.. ستحب خطيبتها القادم.. هي على ثقة من ذلك ولسوف يجيء فجر صادق تتخلص به من هذا الحب الذى خلف بها الأثنى والمتعة وانتزع منها الإخلاص فما يبقى إذن من أى عمل دون هذا الإخلاص؟

أما هو فقد كانت الصفة طوفاناً من الأفكار.. أتت على رجولته الهشة التى كانت تقعات على العبث والمضاجعة فى حرام.. أفقته على واقع أليم يعيشه هو العبث والندم وبددت من ذلك الأمل الضائع فى أن يستعيد حبه.. هذه الصفة جعلته يتساءل بأى شىء كنت سأزوجها؟ هل بفحولته التى أشجت سوزى؟ أم بحياة عمادها أبى فهو رغم الصيدلية مازال يعتمد على أبيه فى نفقاته الباهظة؟! قرر شيئاً ما حاولت الجماعة التخفيف عنه فقررروا إقامة حفلة فى الشقة للاحتفال بأى شىء ودعمت سوزى المنتشية الفكرة.. ووافق رمزى ولكنه وافق موافقة المخمور من هول الصفة التى داهمته فغمر عقله فيض من انتقام وحب أمل ضائع وقرار قد بدأ يتشكل بأعماقه..

وجاء الليل ودار الفيلم الجنى ودارت معهم الكؤوس

والسجائر البانجوية ولكن في هذه الليلة لم يحتمل... حاصره الضجيج الضاحك والانفاس اللاهثة والأناث النارية والأصوات الهائجة.. ملّ من كل ذلك.. مل من الجماعة العابثة ومن سوزى ومن حياة المجون.. انتصب واقفاً صارخاً... لا

أغلق الفيديو الدائر.. حطم زجاجات الخمر.. سحق السجائر البانجوية تحت أقدامه.. طردهم جميعاً بما فيهم سوزى.. قال أشياء كثيرة في ثورته.. قال أنه يريد أن يحيا حياة جديدة نظيفة طاهرة.. سيحقق كل ما قاله لها من أكاذيب سيحولها إلى حقائق سيدرس دراسات عليا ويهتم بصيدليته المنهوبة وسيذهب إلى أمه التي غضبت عليه لأنه يشرب الخمر... قال الكثير من التنفيثات ولكنه كان يدرك وسط هذه الثورة العارمة أن ثمة شخصاً جديداً يتشكل بداخله. شخص يحرقه حب يمتلكه وماضى ينبذه ومستقبل لا يقيمه إلا الإرادة.. كان الشيء الوحيد الذى يحيره هو مَنْ يقوده في هذه الحياة ليصل إلى مبعاه؟ أنه لا يعرف قدوة واحدة يهرع إليها لتنقذه من هذا الجحيم.. فلمن يذهب ولمن يلجأ بهذا العالم الذى على رغم اتساعه يجد نفسه فيه بدون قدوة ودون طريق ودون صديق...!؟

ج - سعاد تدق الأجراس

أنا التي أريد التحدث عن نفسي لا أى شخص آخر.. أنا فلاحه بسيطة اسمى سعاد.. البنت الكبرى لأسرة كبيرة من أب وأم وسبعة أخوة.. عمري ثمانية وعشرون عاماً.. أخرجتني أمي من المدرسة بعد العام الأول من دراستي لأنها كانت في حاجة إلى مساعدتي في تربية اخوتي وبالتدرّج ظفر اخوتي الذكور بالتعليم حتى دبلوم الزراعة والتجارة وسافروا إلى العراق والسعودية بعد ذلك. أتذكر تلك المرات التي ذهبت فيها إلى كُتاب الشيخ أحمد لحفظ القرآن الكريم، وبالفعل حفظت قصار الصور ولكني الآن نسيت معظمها. أنا الآن أسير على الطريق الزراعي المؤدى إلى قريتي الصغيرة من المركز الكبير.. نعم.. أنا باكية حزينة ولهذا كله قصة. تزوجت من ستة أعوام من شاب جميل.. بالمناسبة أنا لا أعرف ماذا تعنى كلمة رجل ولم أكن أعلم تلك العلاقة بين الرجل والمرأة إلى أن تزوجت وصدمت هل هذا معقول؟ يادى الكسوف..

المهم أننى تزوجت منه، من زوجى. وهو شاب يافع درس حتى دبلوم المدرس الصناعية قسم الخراطة وقد أحببى رغم أننى لم أتعلم.. هكذا قال لى بالطبع صدقته لسبب بسيط.. هو لماذا أكذبه وقد جاء إلى أبى يطلبنى للزواج... أليس ذلك يثبت حسن النية.. بالطبع نعم هكذا أقول.. لم يكن زوجى غريباً عن قرىتى فهو منها لهذا فهو يعرف كل أسرارنا ويعلم حالة الفقر الشديد التى عليها أسرتى إلى الدرجة التى أخرجتنى من المدرسة لأساعد أمى فى شئون الدار وتوفر المصروفات للذكور فيتعلمون. لهذا فقد صبر زوجى ثلاث سنوات هى فترة الخطوبة إلى أن ساعدنى اخوتى الذين سافروا إلى العراق والكويت والسعودية بالمناسبة كانوا يعملون فى أى أمر لأن الحياة فى القرية مستحيلة.

أحب أن أذكر هنا أنه على الرغم من سنوات خطبتى الثلاثة إلا أننى ما خرجت من خطيبى وزوجى أبداً. كان أبى شرساً جداً فى هذا الأمر وكان يردد دائماً لزوجى: (عندما تكون فى بيتك افعل بها ما شئت أما هنا فى بيتى فلن تراها ولن تلمسها طالما أنا حيّ). وقد نزلت هذه الكلمات برداً وسلاماً على قلب زوجى فقد

تأكد أنني شريفة رغم فقرى الشديد.

كان الفقر متبادل بينى وبين زوجى لهذا فقد صبر حتى يساعدنى اخوتى المسافرين وصبر أبى أيضاً حتى تتزوج اخته فنحصل على غرفة شاغرة بالبيت الكبير.. هكذا كانوا يسمون بيت أسرة زوجى (البيت الكبير).

وبالفعل شغرت الحجرة وبدأ زوجى فى تأسيسها.. كان كل شىء بطيئاً نعم ولكنه كان شديد الثبات.. وبعد السنوات الطويلة كانت ليلة الدخلة أمى قالت لى أشياء كثيرة بخصوص هذه الليلة وأصارحكم بأننى لم أفهم من كل ما قالت شيئاً ولكنى فهمت جملة واحدة هى (دعيه هو يعمل كل شىء) بالمناسبة.. أنا جميلة.

فى أول ليلة لى بالبيت الكبير وقبل دخولى إلى حجرتى التى ستصبح كل عالمى، اجتمعت الاسرة كلها خاصة الاب والأم والأخ الأكبر لزوجى أستاذ فهمى مدرس اللغة العربية بالمدرسة الإعدادية بالقرية.. قالوا أيضاً أشياء كثيرة ولكنى فهمت منها شيئاً واحداً أنني أصبحت فرداً أصيلاً فى الاسرة ودخلت إلى الحجرة وأنا أعتذر عن

التفاصيل فأنا كما أنني جميلة فأنا خجولة...

أنجبت ولداً وبنثاً وقرر زوجي بعدهما ألا ننجب فهو لا يريد أن يكرر مأساتي ومأساته فالأولاد الكثيرون سيجهدوننا ولن يتعلما وسنعيش جميعاً حياة بؤس وفقر خاصة أن راتبه الأسبوعي والذي يتقاضاه من الورشة كان يكفي بالكاد.

أود أن أقول شيئاً أن حياتي كانت سعيدة جداً رغم الفقر وأنتى لم أشعر بالغربة في البيت الكبير لا لأن أبي وأمي كانا يزورانى باستمرار وبطريقة دورية ولكن لأن والدتي زوجي كانا يحباني ويكاد.. يحملاني من على الأرض خاصة بعد الانجاب..

وأود أن أقول شيئاً آخر أنني أحببت ذلك الشيء الذي أخجل أن أحدثكم عنه إلى درجة الجنون خاصة أن زوجي كان يداوم عليه يومياً ماعدا الأيام التي أكون حائضاً بها.

كان زوجي طموحاً لطالما حدثنى عن آماله في أن ينشأ ورشة خراطة له وساعتها سينفق عليّ مالاً وفيراً.. كان يقلقه دائماً المستقبل لهذا فقد كان شديد الحرص على ولدينا وكان دائماً يقول (وصيتي يا سعاد إن حدث لى مكروه أن تعلمى ولدينا حتى الجامعة).

كانت الجامعة لغزاً بالنسبة لى وتساءلت ماذا تعنى هذه الكلمة هل هى مثل الجامع مثلاً يصى فيها الناس؟ كان زوجى يضحك عندما يسمع ذلك ويقول شارحاً: (الجامعة مكان العلم فى كل المجالات ولا يوجد حياة محترمة لأى شعب بدون جامعة) لم تروى هذه الكلمات عطشى عن الجامعة فرحت إلى الأستاذ فهمى الأخ الأكبر لزوجى فقد كان جامعياً وسألته عن الجامعة فأسهب فى الشرح حتى أننى ندمت وحزنت على تركى التعليم.. هذه الاحاديث عن الجامعة أى الحلم الكبير بنت فى روح التعليم ولكنى كنت مشغولة جداً بين أعمال البيت الكبير التى لا تنتهى وأمور ولدى وأيضاً احتياجات زوجى التى لابد أن البيها فهو زوجى وعالمى الكبير الصغير وحياتى وكيانى وحبى وقلبى وروحى.

كما أننى كنت أخجل فقد كنت اشعر أننى قد كبرت على التعلم.. أسرها لكم لقد أكننت هذه الرغبة فى نفسى ولم أطلع عليها أحد.

كانت حياتنا برغم صعوباتها تمر هادئة إلى أن جاء اليوم الأسود.. قال لى زوجى أنه سيلتحق بالجيش...

وهتفت: جيش؟ أى جيش؟! ضحك وقال لى (إنها ضريبة الدم كما يقولون) وتساءلت (ما معنى ضريبة الدم؟) ورد إنها الخدمة العسكرية ولا بد أن أستجيب بعد التأجيل الذى منحوه لى.

كان الأمر محزناً لأن هذه الخدمة ستحرم زوجى من العمل وبالتالي من مصدر رزقه وهذا يعنى التشرذ ويعنى أيضاً تعرض حياته للخطر فأنا أفهم أن الجيش يعنى الحرب.. هدى فهمى من روعى وقال إن البلاد تمر بسلام مع العدو وأن المسألة مسألة مبدأ.. نعم هناك خسائر ولكن لا بد من ضريبة الدم فهذا شرف رغم كل شىء.. وما طمأننى أكثر أن زوجى فاجأنى بأنه يدخر مبلغاً محترماً لهذا اليوم الذى كان يعلم أنه سيأتى حتماً.. هذا المبلغ فك أزمة كبيرة... على العموم كان زوجى يؤرقه شيئاً واحداً هو بعده عنى وقد عذرته فى ذلك فقد كنا نتحاب إلى حد كبير ولكنه قال لى يوم ذهابه إلى المعسكر (أن هذه هى الخطوة الأخيرة وبعدها سيسافر إلى العراق من أجل العمل وساعتها ستكون المسألة مجرد سنوات قليلة ليعود ليفتح الورشة ويأمن المستقبل).

أنا لا أريد أن أتذكر ما حدث بعد ذلك لأنه كئيب فقد قالوا

لى أن صدام حسين قد أحتل الكويت وأن هناك حرباً وشيكة فى الخليج قالوا لى أنها الحرب الثانية أو الرابعة لا أتذكر الآن الرقم ولكن على ما يبدو أن حروب الخليج كثيرة.

وعرفت أيضاً أن زوجى قد ذهب إلى السعودية من أجل الحرب.. كان فهمى ثائراً ولكن كما قال: كان مشلولاً.

أتذكر جيداً المناقشات المطولة حتى الفجر بين الأستاذ فهمى والشباب وإمام الجامع الشيخ عبد الواحد.. كان الكل ثائر ولكن الجميع لم يصلوا إلى حل واحد إلى أن قال الأستاذ فهمى إنه الفتنة.. لم نعد نعلم من على حق ومن على باطل.. القول الآن للسلاح.. للقوة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

كان كل ما يشغلنى أن زوجى قد ذهب لهذه الحرب التى قالوا لى أنها لتحرير الكويت.. أنا لا أعرف الكويت ولا العراق ولا السعودية ولا أمريكا ولا اليهود أنا أعرف أن زوجى قد ذهب إلى الحرب ومن المحتمل أن يموت.

مرت الشهور بطيئة مملة ومعها تستخدم المناقشات وتحتشد القوات آلاف الآلاف من الجنود ومئات الطائرات.. قالوا لى أن العالم

كله احتشد لضرب العراق وتحرير الكويت وقالوا أيضاً أن الحرب أصبحت حتمية خاصة بعد أن رفض صدام الانسحاب...
 كم كنت أتمنى أن ينسحب صدام حسين من الكويت وتنتهي الحرب ولكن هذا لم يحدث قالوا أنه عنيد ولن يتراجع ولسوف يضرب بالكيماويات وربما بالذرات واكتسحني الرعب.
 بعد أيام طويلة تخللتها الحرب التي امتدت طويلاً قالوا أن العالم قد انتصر على العراق وأن صدام انسحب من الكويت بعد أن أحرق آبار البترول.. قالوا أنهم حطموا العراق وأن صدام انسحب من الكويت بعد أن أحرق آبار البترول.. قالوا أن العالم قد انتصر على العراق وأن صدام انسحب من الكويت بعد أن حرق آبار البترول.. قالوا أنهم حطموا العراق... نسيت أن أقول لكم أن أخى الأكبر الذى كان يقيم فى العراق رجع إلى مصر دون ماله فقد رأى أن ينجو بنفسه من الهلاك وقبل أى شىء آخر.. كان أخى شديد الحماسة كان يتمنى أن ينتصر صدام فى الحرب ولكن الأستاذ فهمى كان يقول له كيف سيهزم العالم؟! ثم يقول لا تكن ثورياً يا عزيزى فهذا هو الواقع الأليم ثم يقول لا تنسى أن العراق قام

بعمل همجى أرجع العرب مئات السنين إلى الخلف.
ولكن أخی كان يرفض كل ذلك وكان يقول أن الكويت جزء
من العراق وأن ما فعله صدام كان من حقه وأن صدام هو مبعوث
العناية الإلهية لإنقاذ العرب وأنه قد خاض حرباً طويلة ضد إيران
ليمنع الشر الفارسى من أن يمتد إلى أرض العرب فالعراق هو البوابة
الشرقية للوطن العربي.

لا أتذكر المناقشات الحادة بين أخی والأستاذ فهمى ومعهما
الشباب لأنها كانت مناقشات عقيمة ضاعت منها الحقيقة وقد
عرفت ذلك لأنهم كانوا يخرجون منها بلا شيء كبير.

انتظرت عودة زوجى وقد طالت الأيام رغم قلة عددها.. كان
قلبي يحدثنى أن ثمة شيئاً قد حدث كان هذا هو حدس الأنثى التى
بداخلى أو لنقل أن هذا هو قلب تعلق بالحبيب وقد أمل فى رحمة
الله جاءت اللحظة السوداء قالوا لى أن زوجى قد مات بالحرب..

يا إلهى كما هى أقدار حزينة.. يارب هل كان يجب أن يحدث هذا
لزوجى وحبیبى.. قالوا لى استغفرى الله فهذا أجله ولكل أجل كتاب..
دفناه فى مقابر القرية بعد أن حملوا جثمانه من مكان لا

أدريه إلينا حتى أستاذ فهمى صرخ فى الناس أثناء الدفن وقال فى صوت باكي: إن الذى قتل صبرى.. وهذا اسم زوجى.. لا الكويت ولا السعودية ولا العراق ولا إنجلترا وإنما الذى قتل صبرى هو اليهود ومعهم الأمريكان.

بكى الجميع صبرى حتى إمام الجامع الشيخ عبدالواحد الذى استغل فرصة الصلاة على زوجى فى المسجد الكبير فى المقابر.. استغل الفرصة وصعد المنبر وسط بكاء الجميع وخطب عن أشياء كثيرة عن سورة فى القرآن هى سورة الإسراء وتحدث عن اليهود وعن ثأرنا معهم فى كل الحروب السابقة وتوعدهم.. وبدأت من هذه اللحظة أمقت اليهود لأننى بساطة كنت صغيرة جداً عندما انتهت حرب أكتوبر عام ثلاثة وسبعين لم أع شيئاً منها ولكنى الآن ناضجة بما فيه الكفاية لأعلم أن اليهود هم الذين اصطادوا صدام حسين أوغروا الصدور بين العرب وحشدوا الجيوش فى السعودية وأنهم هى الذين قتلوا زوجى ومن ذلك اليوم بدأت الحلم بالثأر.. هكذا أفهمنى الشيخ عبد الواحد ومعه الأستاذ فهمى.

من المهم الآن ذكر الآتى وهو ما جعلنى أفتخر بالحكومة

المصرية أن عضو مجلس الشعب الأستاذ بهجت الهلالي استطاع أن يطلق اسم زوجي على المسجد الكبير في قلب المقابر تمجيداً له لأنه شهيد.

بعد الوفاة اجتمع الجميع في البيت الكبير وقد كان الجميع في ضيافة عم حامد الذي رفض بشدة أن أرجع إلى بيت أسرتي وقال أنها عاشت هنا.. أي أنا.. وهي وأولادها ستعيش هنا أيضاً حتى الموت.. يقصد موته هو بالطبع لأنه رجل طاعن في السن. ورضى لأنه رجل طاعن في السن.

ورضخ الجميع لثورته خاصة أنه قد تعهد بالمصروفات كلها حتى لو اضطر أن يعمل في الفاعل لينفق عليّ وعلى ولديّ الشهيد ابنه. تفرق الجمع تحت إصرار عم حامد على كفالتى ولكنى بعد عدة أشهر اكتشفت أن هذا الحل مرهق جداً لعم حامد بل للأسرة كلها. كان وصية زوجي تحرق هدوئى.. لا بد أن يتعلم ولداى في الجامعة.. وهما الآن على وشك الدخول إلى المرحلة الابتدائية والمال لا يكفى...

الكل مشغول بحياته حتى الأستاذ فهمى فهو أب لأربعة أبناء..

الحل واضح أن أعمل أنا.. أن أعول أسرتي وأتحرر من قيودى المالية.. كنت أعلم أن هذا أيضاً ليس بحل.. كان هدفي بعد تفكير هو أن أعمل عمل مؤقت حتى أفتح خان صغير جداً للبقالة والتجارة ومع الوقت سيكبر الخان وأوفر المال الذى أستعين به على الحياة وأرعى ولداى ولكن ما هذا العمل؟ أنا لا أجيد شيئاً.. لم أتعلم.. لا أعرف القراءة لا أعرف الكتابة.. أنا لا أعرف إلا شغل من البيت من كنس وطبخ وتنظيف بعد تفكير عملى عميق قررت أن أدوس على كرامتى مؤقتاً لأعمل فى البيوت ك.. خ.. ا.. د.. م..ة نعم أقولها لكم فى خجل كخادمة وأنتم تعلمون الآن أننى لا أملك إلا هذا الحل لكى أعول نفسى وأسرتى وأصل بولداى إلى الجامعة.

كانت المعركة حامية فقد كان عليّ أن أقنع الجميع بالعمل وكخادمة لهذا فقد قررت أن أمهد للثانية بالأولى...

وفاتحت الأسرة فى البيتين فثارت ثورة عارمة ضدى ولكن بالتدريج وبإستمرارية الإصرار اقتنعوا...

أننى الآن أفسر ذلك بأنهم كانوا خاجلين من ذلك.. كانوا يخشون ألسنة الناس المعقربة ولكنهم كانوا تحت وطأة الفقر وفى

قرارة نفوسهم يجدون أن هذا هو الحل الوحيد.
وتركتهم شهراً كاملاً يحددون عملي ولكنهم فشلوا وقد
تركتهم يفشلون..

وفي جلسة عائلية قذفت صاروخي.. وكلمة صاروخي هذه
استعرتها من الحرب.. وقلت لهم أن العمل المناسب لي هو خادمة
في بيت شريف.. وكانت هذه الكلمة هي المفجرة لكل الثورات
ضدى وبعد عدة أسابيع وبدعم من الأستاذ فهمي وافقت الأسرة
ولكن عم حامد صمت ودخل إلى حجرته يصلى.. عم حامد ظل
شهراً كاملاً صامتاً بعد أن وافق الجميع على عملي كخادمة.. بعد
شهر كامل قرر عم حامد أن عملي لن يغير في الأمر شيئاً فهو مازال
مصرّاً على أن أعيش في حجرتي بالبيت الكبير وأصر أيضاً أن راتبي
الشهري لن يُنق منه قرش واحد على تربية الأولاد ولكنه سيدخر
كله من أجل هذا الخان الذي سأديره فيما بعد.. لقد رضى عم
حامد - أبو صبرى - عن الخطة وهي العمل المؤقت والادخار حتى
الخان ولكن كان له شرط واحد ألا أعمل في أي بيت من بيوت
القرية وهذا على جثته.

ومن هنا بدأ البحث ومن هنا كان عم حامد يحدق في صورة صبرى زوجى وقد اعتلى الجانب الأيمن منها شريط أسود علامة الوطأة. وبالفعل عملت نصف عام في بيتين من بيوت المركز، نفس المركز الذى كان يعمل به زوجى.. كانت المعوقات كثيرة بين الراتب القليل والمجهود الشاق إلى درجة تحميلي أكثر مما أطيق من عمل وكنت أنتهز فرصة وجود عمل جديد فأفر من بيت يرهقنى حتى جاء الأستاذ فهمى مساءً وقد تهلل وجهه فقد أوجد لى فرصة في بيت عضو مجلس الشعب الأستاذ/ بهجت الهلالى. ذلك الرجل الطيب الذى كان السبب في أن يطلق اسم زوجى صبرى على المسجد الكبير بالمقابر.. لم يكن هذا كل شيء فقد كان هناك عدة مميزات العمل مجرد ثمان ساعات فقط يومياً والمرتب مجزى والعمل ليس مرهق لأنه بيت رحمة وعدل...

كم كنت سعيدة بهذا العمل الجديد لشيء آخر أساسى في حياتى هو أنه قد أتاح لى فرصة التعلم... قلت لكم أن حلمى هو أن يدخل ولدائى الجامعة ولكن حلمى المؤدى إلى الحلم الأول هو أن أتعلم.. التعليم كان حلمى الشخصى

الذي دفنه الفقر وشتته الحياة.. لا بد أذن أن أحقق هذا الحلم وأن أقرأ جريدة الجمهورية كما كان يقرأها زوجي ثم أن هذا التعلم هو الذي سيمكنني من إدارة خان التجارة الذي أريد فتحه.. كان الأستاذ فهمي يقول دائماً في جلساته التعليم كالماء والهواء. وكان جهلي هذا يعني أنني ميتة رغم أنني أحياء.. لم يكن التعليم وحده هو حلمي الأول بل كان الصلاة أنني مازلت أحفظ عدد قليل جداً من قصار السور رغم أنني قد نسيت الكثير من الجزئين اللذين حفظتهما منذ صغري في كتاب الشيخ أحمد. قررت أن أكافح خجلى وأصارع الأستاذ فهمي بما أنويته خاصة أنني قررت أن يكون هو أستاذي..

تعجب الأستاذ فهمي أول الأمر ولكن أمام إصراري وافق على أن يقوم بمهمة محو أميتي وتعليمي الصلاة.. أما عن الصلاة فقد تعلمتها في يومين اثنين ومن ساعتها لم أترك صلاة واحدة حتى صلاة الفجر.. كنت أحياناً أصلي بالجامع مع السيدات وأحياناً كثيرة أصلي في الدار أي البيت الكبير ومن هذه اللحظة شعرت بأن إحساساً من الثقة والطمأنينة قد غمرني من هذه اللحظة توثقت ثقتي بالله

سبحانه وتعالى.

وبدأت العمل في بيت الأستاذ بهجت الهلالي كان كل شيء جديد في حياتي في هذا البيت كان هناك نظام وتربية وأخلاق ورحمة خاصة من زوجة الأستاذ بهجت ومن ولديها أيضاً حتى أن ابنتها أهدتني بعد أسبوع واحد من عملي بالبيت قطعة من قماش أخضر جميلة، كانت أجمل أرديتي على الإطلاق...
كان أيضاً هناك شيئاً جديداً هو أحاديث السياسة مع ضيوف الأستاذ بهجت في صالونه الوثير...

ذكرتني هذه الأحاديث الشديدة بتلك الأحاديث التي كانت تفيض حماسة أثناء حرب الخليج.. معذرة نسيت رقمها فأنا دائماً احتار بين الثانية والرابعة.. رقموها أنتم كما تشاءون.

كان الأستاذ بهجت ثائراً باستمرار وأظن أنه كان يدافع عن الحق.. عرفت ذلك من حماسه عن الحديث عن الحزب والمسقبل والمجلس الموقر والحرب والسلام والتنمية ولكني كنت ألاحظ أنه كان يصمت تماماً عندما يراني ولم أكن لأعلم عن سر ذلك شيئاً..
كان الأستاذ بهجت ودوداً جداً طيباً جداً وظريفاً جداً..

كان ينتهز الفرصة.. كل فرصة.. ليثنى عليّ ويدس بين يديّ الأموال الإضافية ثم يدعو لي ولولداي ويوصيني بأنه إذا اعترضني أى شيء لابد من إعلامه لاتخاذ اللازم..

استمر العمل نصف عام كامل وأنا في منتهى السعادة.. في الصباح العمل وفي المساء التعلم وفي كل أذان صلاة.. وفي نهاية كل شهر أقبض الخمسمائة جنية فأدخرهم بالكامل مع عم حامد حتى يضمن ألا أنفق منهم شيئاً..

كانت نهاية كل شهر تعنى اجتماعي مع عم حامد والأستاذ فهمي فيجمعون لي الحساب ويعلموني بالرصيد الإجمالي ثم نذهب إلى البنك بنك مصر فرع المعاملات الدينية هكذا كانوا يسمونه.. ويودعون في دفتر باسمي المبلغ.. تهللت أسارير عم حامد عندما علم أنني على وشك القدرة على فتح الخان.. كانت حياتي تسير في انتظام ونجاح حتى جاء ذلك اليوم.. كنت بمفردي في بيت الخدمة وقد انهمكت في المطبخ.. لم أدر بشيء حتى أحسست بيد ساخنة تربت على مؤخرتي.. التفت بشدة فكانت المفاجأة كان الأستاذ بهجت الهلالي بشحمه ولحمه وقد ارتسمت على وجهه ابتسامة

غريبة لم أر مثلها في حياتي وقد لمعت بعينيه لمعة خيانة وغدر..
هتفت مذعورة (خير يا سيدي) لأول وهلة لم يتكلم بل أخذ يفتح
أزرار قميصه الأسود في هدوء وهو يقول (بل أنتى سيدتى)

- ماذا تقصد؟

- تعالى يا سعاد.. تعالى

- إلى أين؟

- إلى حجرة النوم.

هوت هذه الكلمة على رأسى كالصاعقة.. اكتشفت حقيقة
هذا الموقف كان يريد أن يضاجعنى.. نعم أنا أرملة. وعودنى زوجى
الشهيد على المضاجعة يومياً ونعم أنا أعانى الوحدة والرغبة ولكن
شرفى ومن قبل شرفى الله والصلاة والجنة والنار فهل سأكون بعد
كل هذا زانية؟!

أخذتنى المفاجأة فلم أتكلم.. سحبنى من يدى إلى خارج
المطبخ.. لا أعرف من أين جاء بهذه الثقة الشديدة فى تجاوبنى
معه؟ قال وأسهب وأنا تدريجياً أستفيق وأقاوم.. سعاد هل تعلمين
لماذا قبلت أن تعملى فى البيت هنا؟ لأنك أرملة.. أى أن السكة

سالكة لا بكاراة ولا دياولو.. سعاد لقد راقبتك كثيراً وراقبت جسدك الأبيض البض الجميل تحت القماش المزركش.. كانت ساقيك تثيراني إلى حد الجنون ونهداك أي صدرى أود أن أعتصرهما لاستخرج منها أجمل خمر في الدنيا.. كنت أجن عندما أعلم أنك بالحمام تستحمين فأحسد الجدران أن رأتك عارية وأحسد الماء والصابون لأنهما يغطيان جسدك الناصع الرهيب لم تلاحظي لهفتى عليك طوال الشهور المنصرمة فكان لابد أن أخطط لنومى معك في أقرب وقت.. اليوم زوجتى الكئيبة في زيارة لأهلها بالقاهرة.. ولداى بالجامعة أى أننا أنا وأنت بمفردنا (هنا كان قد خلع القميص تماماً فبدى جسده المهول وقد كساه شعر رمادى كثيف)

سعاد.. هيا السرير ينادينا.

عقدت المفاجأة لسانى ولكنى أدركت أن أفعل شيئاً لإنقاذ

نفسى من هذا العار قلت بعار (يخيبك راجل)

ثم أردفت.. كنت أتوقع أنك رجل شريف عفيف طاهر ألسنت

رجل سياسة.. قالوا لى ذلك.. وقالوا لى أيضاً أنك من تمثل الشعب..

الناس يتكلمون عنك كثيراً ولكنى كنت أدافع عنك لأننى لم أر منك

سوى الطيبة والأخلاق من الآن سأفضحك في كل مكان لأنك منافق
وحقير وكذاب ألا تخاف الله؟!

- سعاد.. دعك من كل هذا.. سأعطيك مالاً... كثيراً ولكن
لا تحرميني من متعة مضاجعتك الآن.. أريدك عارية.. عارية..
ولاحظي أن الوقت يمر وربما يعود أحد الابنين فتفسد المسألة.
هبيت إلى أقرب حذاء من أحذية زوجته.. كان حذاءً أسوداً له
كعب بسيط وصرخت.

- لو اقتربت مني سأؤدبك بهذا الحذاء.
أخذته العزة بالإثم فزادت ثورته.

- أنت.. أنت أيتها الخادمة الحقيمة تضربيني بالحذاء؟! من
أنت؟! أنا أستطيع أن أمحيك أنت وأهلك وابنيك وأسرتك من على
وجه الأرض.. ثم أنك لست أول من رضخ لي في هذا البيت وخارجة.
اسمعي جيداً سترضخين سترضخين هذا أمر مني.

- نعم أنا خادمة ولكني شريفة.. نعم أنا بسيطة ليس لي
منصب كبير ولا عضو مجلس شعب ولكني لست سارقة أو منافقة
أو حقيرة أو سارقة أعراض.

هجم عليّ الأستاذ بهجت ولكنى قاومت واعتلتيه بأن وثبت على الكرسي وظلمت أطرق رأسه بالحذاء حتى بدأت قطرات الدم في التفجر من جبهته.. كان يريد أن يقبلنى وأن يعبث بجسدى ولكنى لم أنله منى قلامة الأظافر.. عندما أوسعته ضرباً هرعت إلى باب البيت.. بيت الخدمة وفتحته بعد طول مقاومة منه وهوى قوله لاهثاً:

- قبلة.. قبلة واحدة يا سعاد.

أخيراً فتحت الباب ولكنه لم ييأس فركض خلفى على الدرج لم أجد أمامى إلا فرصة واحدة لإيقاظه عند حده.. أخذت أدق كل الأجراس التى قابلتنى.. خرج الناس مذهولين من هذا الطرق المتواصل وعندما خرجوا وجدوا الأستاذ بهجت الهالى نصف عارياً وقد تفجر الدم من جبهته.. تساءلوا فى دهشة عن حالته ولكنه تتمم (لا شىء.. لا شىء)

أما أنا فقد احتفظت بالحذاء ذى الكعب الدامى حتى بعدت عن البناية كلها.. أدركت أن الأستاذ بهجت سيتكتم الأمر كله لأنها فضيحة تمسه وتهدهه حتى فى منصبه وقررت أيضاً أن أتكتم الأمر

خاصة أن ما معى من مال يكاد يكفى لفتح الخان.. سأستمر فى تعليمى وصلاتى وتربية أولادى حتى أرى الابن طبيباً والابنة محامية هكذا اختار عم حامد لهما.. أننى الآن أسير فى الطريق الزراعى من المركز إلى قريتى.. نعم أنا أبكى ولكن سعادتى لا توصف لأننى أخيراً سأتلخص من الخدمة فى البيوت وأستقر فى قريتى واتفرغ لإدارة الخان وتربية أولادى وليذهب بهجت الهلالى إلى الجحيم..

(٦)

وحيد

دارت عيناه في أرجاء الحجرة الصغيرة تامة التجهيزات.. غرس الشمعة الأخيرة في التورتة الكريمة المحلاة بالأناناس وهو يتمتم (هكذا يصبح العدد ثمانية وخمسين سنة) اليوم الثالث من أكتوبر من العام الألفين الميلادي يتم وحيد ثمانية وخمسين عاماً بالكمال والتمام. أصر على أن يكون عدد الشموع بنفس عدد السنوات فهو يكره الرمز بأن يضع شمعة واحدة في قلب التورت لتتمز إلى العام المنصرم وهو يفخر أيضاً بعمره.

في كل جلساته يقر بعمره ويمسح بيده المجددة على رأسه النصف صلعاء والتي غالبها المشيب كأنه يدلل على عمره بما يجده الناس في مفرقه.

كان يعتبر أن العمر يؤهله إلى أن يكون مسموع الكلم فهو يتكلم عن خبره حياتية طويلة مدعومة بكم هائل من الأعمال

والخبرات والأسفار والجولات وهذا ما جعله في كثير من المناقشات يفخر بنفسه وبآرائه لأنه يصيب كبد الحقيقة.

هندم من الأثاث القليلة في الغرفة وأخذ يستمتع بالهدوء أثناء انتظاره جاريه اللذين سيحتفلان معه بهذه الأمسية.

أدار عن طريق جهاز التحكم التلفاز فانطلقت إليه مشاهد الطبق.. عبث في القنوات حتى وصل إلى فاصل موسيقى عبر عشرات البرامج... أغمض عينيه ليستمتع بالموسيقى الهادئة ولكنه استفاق على رنين المسرة.. أخذته الدهشة فهذا رنين دولي تساءل من سيطلبني من خارج مصر الليلة؟!

أصمت الموسيقى بضغط والتقط السماعه.. كان صديقه مدحت يهنئه بعيد ميلاده.. أذهله كيف تذكر مدحت هذه المناسبة.. ولكن بعد لحظات زالت دهشته فمدحت أعز صديق له عبر عشرين عاماً قضاها في الخليج رغم اختلاف الشركات والمكاتب التي التحق للعمل بها...

لم تستمر المكالمة كثيراً ولكنها أيقظت فيه روح التذكر.. تذكر الخليج الدافئ بشمس الدافق بنفطه الجاف بصحرائه العنيف بعواصفه.

ولكن رعى الذكريات لم تتوقف على هذه المرحلة من زهرة العمر من حياته بل دارت الذكريات إلى أعماق من ذلك بكثير.. فهو لا يعرف لماذا تفجرت بداخله تلك الرغبة العارمة للتذكر.. حاول أن يطفئ جذوتها ولكنه فشل كانت الذكريات ترتوى من ذلك النبع الإنساني لهذه الليلة.. فالليلة عيد ميلاده.. الليلة تعلن أنه قد قضى في هذه الحياة ثمانية وخمسين سنة بين الأحلام والأوهام والطموح والثراء والفقر والصبي والشباب والهرم.

أخذت شهوة التذكر تبعث أمام عينيه سنوات حياته الأولى في بداية الأربعينيات.. قالوا له أن مولده كان عام اثنين وأربعين تلك السنة المهمة في تاريخ مصر.. تذكر أسرته البسيطة.. أبوه الموظف الراتب القليل.. أخوه الوحيد الصغير.. أمه الحبيبة.. مدرسته..

مرقت عيناه على كل الأحداث حتى توقفت عند يوم نجاحه بالسنة النهائية بالجامعة كان يوماً فاصلاً في حياته هو الذى حوله من شاب إلى رجل.. كان جميلاً هادراً.. كالثورة ولكنه كان يحمل في داخله على رغم الانطلاق والسعادة أثر جرح عميق قرأ عنه كثيراً في الصحف هذا الجرح انفصال مصر عن سوريا أو العكس.. ظل

سنوات طويلة يتساءل عن سر هذا الانفصال.. لقد خرجت مصر فتية بعد العدوان الثلاثي ذلك العدوان الذي درسه في المدرسة ورآه وهو مازال صبيا على أرض الواقع.. لم يجد إجابة مقنعة لهذا الانفصال إلا عندما كبر.. ضحك الآن وهو يتذكر هذا الحزن هتف كم كانت لنا أحلام؟!

تذكر دعوات أمه لله ألا يذهب إلى اليمن بعد تجنيده.. كان كل علمها أن من يذهب إلى اليمن تذبحه القبائل دون ذنب وكان أبوه يردد دائماً (أن هذه الحرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل) واستجاب الله إلى هذه الدعوات ومر تجنيده هادئاً في عمل مكتبى لطيف.. استعد من بعد الجندية إلى تكوين أسرة مثل باقى الشباب ولكن كان عليه أن يعمل وبالفعل كان أول عمل التحق به فى سفاجا.. كان سعيداً بهذا العمل بل أخذ يدخر من أجل الزواج رغم أن راتبه كان قليلاً.. كم كانت سعادته عندما بدأ قلبه يخفق بالحب.. كانت الجارة الجديدة لهم بالشارع بيتها يبعد عن بيته بسبعة بيوت.. ملحها ذات مرة وهو عائد من سفاجا والجة إلى البيت ومن هذه اللحظة اشتعلت حياته وربما إلى الآن.. طويلة..

سوداء العينين.. شعرها الأسود الكثيف يصل إلى عمق ظهرها.. ناصعة.. ولكن الأهم من كل ذلك.. أنها كانت أنثى.. كان هذا هو ما لفت نظره بها.. إنه الآن يتذكر الشهر الإجازة الذى يعصف بسكينة القلب، ثم بتلك النشوة التى تروى حرمانه منها فى نفسه.. حتى هذه اللحظة يعترف أن هذه الأنوثة الجبارة.. التى كانت لديها القدرة على تحريك كل عواطفه وملكاتة.. لم ير لها مثيلاً فى حياته.. لن ينسى القرار الفاصل فى حياته بأن يكلمها فى أمر حبه.. ظل يخطط نصف عام كامل حتى وصل إلى الشجاعة الكافية لذلك.. وبعد ألعيب عديدة وصل إلى الانفراد بها بعد أن راقبها ساعتين.. اكتسحتها الدهشة وهو يربت على كتفها.. لن ينسى أجمل عيين بعد أن ظل يحلق بالقرب منهما ما يقارب من العام.. أخذته عينها لحظات ولولا تداركه للأم لكانت ذهبت دون هذا اللقاء التاريخى فى حياته.. بعد دقائق من القلق والتردد صارحها بكل شئ ولكنها كانت حازمة معه قالت أنها لا تعرف الحب إلا فى بيت الزوجية حاول أن يحدد معها أوقات للقاء ولكنها أصرت على عدم اللقاء.. توسل إليها ولكنه لم يستطع أن ينال منها وعداً.

كل ما استطاع أن يناله منها هذه الوردة الحمراء التي مازال يحتفظ بها في إحدى كتبه القديمة.. هذه الوردة أو بقاياها في كتابه لازمته طوال حياته وحتى الآن.. إن هذا الحب ألهمه فألهمه العمل المتواصل.. وعدها أن يعمل ليل نهار حتى يفوز بها ووعدته هي أن تحترمه إلى أن يطرق بابها.. دفن وجهه بين كفيه وهو يتذكر ضربات ثلاث أتت متتابعة بعد ذلك..

حبيبته خُطبت وعندما عاتبها قالت له أنها لم تعده بشيء وأنها وافقت على خطيبها لأنها تحترمه فهو عصامي وشريف ومهندس. وأنها تلتمس فيه الرجولة والقوة والحياة الكريمة... واسته بكلام جميل وذكرته أنها الآن في عصمة رجل آخر لهذا فهي تعتذر عن استمرار هذا اللقاء الذي لم تسع إليه أكثر من ذلك.. تمنى له حياة سعيدة مع أخرى..

وتساءل في حسرة أي أخرى تلك التي تملك أنوثتك وأي أخرى تلك التي تملك أخلاقك وشخصيتك؟

وكانت الوردة هي رمز هذا الحب الكبير المفتقد تلك الورقة التي لم يستطع عمله الشاق المتواصل أن يُظفره بصاحبها.. فقد

حبيته فأدمن السجائر كأنه يريد الانتحار..

وعندما شاهدها مع خطيبها أصبحت سفاجا وطنه والقاهرة
موطن بعيد عنه لا يأتيها إلا نادراً.

ثم أتته الضربة الثانية.. كانت النكسة المريعة.. كانت الإنكسار
التي لم يقم بعدها أبداً كما كان..

في هذه اللحظة لم يرد ان يمعن في تذكر هذه النكسة لأنها
تبكيه بعنف كلما تذكرها وكم تذكرها وهو على ضفاف الخليج
وفي عمق الفيافي. ما يتذكره الآن جيداً أنه بدأ إدمانه للخمر بعد
هذه النكسة حتى ينسى مشهداً واحداً فقط من مشاهدها وهو أن
الجنود المصريين الذين انسحبوا من سيناء قابلهم وهو في طريقه
من سفاجا إلى القاهرة.. قابلهم شبه عرايا يأكلون البطيخ من شدة
عطشهم.. كانت وجوههم تحمل أسئلة كثيرة ولكنها.. الوجوه..
كانت البرهان المادى الرياضى على أن شيئاً ما جسيماً كان خطأً في
حياة مصر.

تذكر كيف ابتلعه العمل والسجائر والخمر في سفاجا إلى
أن جاءت الحادثة الكبرى الثالثة.. تلك الحادثة التي لم يكن أحد

يتصورها في ذلك الوقت.. تلك الحادثة التي جعلته يترك عمله دون حتى استئذان ويركب أول سيارة دون انتظار ركاب ليصل إلى القاهرة.. كانت الطريق من سفاجا إلى القاهرة كالأطلال مهما احتوت من أشجار ومباني حتى الصحراء كانت أطلالاً وقد صاحب هذه الأطلال على طريق السفر الطويل بكاء مر ينزف التاريخ والطموح والثورة.. كانت الحادثة هي وفاة عبد الناصر.. لم يصدق في بداية الأمر أن عبد الناصر قد مات وكيف يموت في هذه اللحظة الفاصلة من تاريخ مصر؟! كيف يارب يموت واليهود على بعد مائة كيلو من القاهرة وسيناء محتلة؟! كيف يارب يموت الأمل بعد أن بنينا حائط الصواريخ ونستعد للمعركة تلك المعركة التي لن نكتفى فيها هذه المرة بسيناء بل بالنقب وتل أبيب وغزة والقدس؟! كان يبكي وهو يقول لماذا يارب لماذا يارب؟ عاد إلى القاهرة ليلقى نظرة على الجثمان الذي انهكته الرحلة الطويلة التي بدأها من حرب فلسطين (هكذا قال) عاد إلى القاهرة ليودع الرمز الخالد والثورة والشباب والطموح والأمل والحب الذي كان يهرب إليه من حبه المفقود.. في هذه اللحظة دون أن يدري وهو في الثاني من أكتوبر من

العام الألفين الميلادي وفي ليلة ميلاده أخذ يبكي عبد الناصر بحرقه.. كان يهرب من ذكرياته لأنه لا يريد أن يحزن في هذه اللحظات من ليلة، فكافح مع ذكريات حبه المفقود ذي والوردة المطلولة بدموعه وكافح دموعه مع ذكريات النكسة ولكنه لم يستطع أن يحجب هذه الدموع عندما تذكر كيف انصهر مع الجماهير يودعون الجثمان وكيف بقى حتى بعد الدفن ساعات طويلة في الشارع وقد هام دون اتجاه.. كانت الحقيقة التي اعتصرته في تلك اللحظة أن الأمل قد مات وأن مصر قد انتهت.

عاد إلى بيته في هذه الليلة الرهيبة وقد جاهد إزورار عينه إلى بيتها.. كان الضوء منبعثاً من خلق الشباك الموصد وقد استمع ملياً فتهادى إلى مسامعه القرآن.. إنه أوان القرآن هكذا قال: فالمأتم كبير. ها هو لينسى كل هذا.. جاهد لينسى حبيبته ولكنه لم يكن معه المال ليرتبط بأخرى تنسيه إياها أو أنه لم يعد عازماً على أن ينساها فكان ينفق المال على الخمر وسهرات النساء والأصدقاء والصديقات ولكنه لم ينس.. لم ينس الحب الأثوى الجبار الذي كان محرکه مع كل النساء ولم ينس مشهد الجنود المنسحين ولم ينس تلك الجنازة

وهذا الجثمان.. تذكر أن ذلك الحزن العميق الذى اكتسحه لم يخف إلا من أمران أولهما كان حرب أكتوبر العظيم التى قادها وانتصر بها الجيش المصرى الباسل و ثانيهما أن قد ترك مصر إلى الخليج بعد تغير الظروف الاقتصادية والسياسية للعرب بعد الحرب.. كل ما يتذكره الآن سؤالين أولهما كيف لم ينس حبيته رغم طول السنين وكيف انهزم العرب بعد العبور ولم ينهزموا بعد النكسة؟!

كان يتابع أخبار الوطن رغم بعد المسافات مذهولاً متسائلاً هل المصريون فى مصر هم نفس المصريين طوال هذه القرون السالفة؟ ووجد ضالته فى الخمر والنساء والسجائر التى كان يود الانتحار بها تعارك طوال العشرين عاماً مع كل أصحاب العمل فى الخليج وهو يعترف الآن أن كل هذه المعارك كانت لأتفه الأسباب ولكن فشله فى البحث عن المرأة التى تسعده وحزنه العميق لانكسار أمام العدو وذكريات حبه الرهيب بوردته الحمراء كانت كلها تضغط على أعصابه فلا يحسن الردود وإن أحسنها لا يلقى الردود التى ترضيه.. كان سفره إلى الخليج فرصة ليحقق حلماً كبيراً لديه وهو أن يرى العالم.. لقد درس كثيراً عن الثورة الفرنسية وكم

تمنى أن يسير في طرقات باريس القديمة وأن يستنشق عبق التاريخ تماماً عندما كان يستنشقه في حارات مصر وشارع كوبرى القبة ومنشية البكرى ومصر القديمة أثناء أجازاته في الصيف.. كان ينتهز حلول الصيف وأجازات الأعياد ويكر على أوروبا.

ومضت السنون فتساءل ماذا بقى لى بعد عشرين عاماً في الخليج؟ وأكثر من ثلاثين عاماً في مصر؟! الذكريات الوحده.. الحب المفقود.. الوردة الحمراء.. الثورة المقتولة.. النكسة.. الجنازة الماثلة.. الحرب.. الانتكاسة.. الركوع.. السلام؟! تساءل عن حصاده منذ العام الرهيب اثنين وأربعين؟! فلم يجد إلا كلمة واحدة.. صرخ (أنا الهامش) (لقد عشت الحياة بكل الأشكال ولكنى أشعر في أعماقى أننى ما أنا إلا هامش كبير.. أين أنا وأين حياى وأين طموحى وأين مالى هل بعد كل هذه السنوات أعيش في نفس البيت الذى أجرته بعد ثلاثة أعوام لى بالخليج.. ذلك المنزل الذى أعيش فيه الآن بعد غربة طويلة.. ذلك البيت المنزوى فوق أحد أسطح المنازل القديمة في إحدى حارات مصر القديمة؟

البيت المكون من حجرتين ضيقتين للنوم والاستقبال وحمام

كعلبة سردين ومطبخ كقبر.. البيت الذى عزلنى خمس سنوات عن العالم اللهم إلا من هذا الطبق الذى يلتقط موجات كهرومغناطيسية ليحولها إليّ فى هيئة قنوات فضائية.

- هل هذا الانعزال هو كل عالمى الآن؟!

ندم على تذكره.. كان يعلم أنه ما أن يتذكر حتى ستلتهمه الذكريات وتحيله إلى هذا الحطام أو الهامش الذى تحدث عنه لهذا كان يقاوم التذكر أو يقاوم الطريق إلى وعى الحياة التى يعيشها الآن.. فبعد ثلاثة وخمسين عاماً من الحياة يعود إلى مصر محملاً بثلاثة وثلاثين عاماً ثورية وعشرين عاماً خليجية وعشرات الأسفار ومئات الرحلات الجوية ومئات الألوف من الجنيهات التى طار ثلاثة أرباعها فى النسيان واللهو وبقي من كل ذلك ومنذ عام خمسة وتسعين بعض المال الذى يقتات على فوائده البنكية وهذه العزلة وهذا الطبق وهذه الزيارات من أصدقاء على مختلف الأنواع والأشكال وبعض المكالمات التى تثير فيه الذكريات وتذكره ببعض الحياة بعد أن قرر أن يتحول إلى مومياء فوق سطح لا تزال تتنفس.. ساعتها أفرغ رغباً عنه.. بعضاً من الخمر فى كأس طويلة

وتجرعها كلها مرة واحدة كأنه لا يريد أن يسكر في هذه اللحظة التي ملمت أشتات حياته ولكنه لم يستطع.. غلبته شهوة النسيان فازرد الخمر مسح شرقية المطلولين بالدموع، أحكم غلق زجاجة الويسكى.. أشعل سيجارة من سجائره الحمراء الأجنبية وحاول جاهداً أن يجمع أشتات قوته.. كان يريد أن يعود إلى بعض قوته حتى يستطيع أن يستقبل ضيفه في هذه الليلة الغريبة.. استمع إلى الموسيقى وتعجب فقد كان كل هذا التداعي لذكرياته في خلال دقائق معدودة فهتف كم هو العمر قصير؟!

بعد لحظات بدأت الموسيقى تتخلله فبدأت الراحة تسرى في أوصاله بعد ربع ساعة سمع طرقات على الباب الخشبى المتوسط الطول فقام ملبياً الطارق.. تعالت الضحكات من الجميع وهم يدخلون حاملين بعض الهدايا التذكارية الرمزية.. كانوا ثلاثة رغم أنه توقع إثنتين فقط (ماهر) في العقد الثالث من عمره وخالد في العقد الرابع.. في لحظة قدم ماهر صديقه إلى وحيد وكان الصديق الصغير هو وائل في نهاية العقد الثانى من عمره.. يحمل في يده المحمول يرتدى قميصاً متداخلاً صاحب زاهى الألوان وسروال

جينز أسود.. جلسوا جميعاً بعد التعارف الصغير وتبادل التهاني.. لأول وهلة شعر وحيد بحنين لوائل كأنه ولده.. فلو أن وحيد تزوج لكان أنجب من هو في سن وائل أو أكبر فأحاطه بعنايته واهتمامه.. تساءل خالد عن هذا الكم الكبير من الشموع فأجابه وحيد بأن عمر الانسان هو حصيلة التجارب فلا يجب أن تخفيه أو نتبرأ منه.. أشعل وحيد الشموع بعدة أعواد ثقاب وعلى خلفية الموسيقى أطفالوا الشموع مغنيين سنة حلوة يا جميل. تبرع وائل بتقطيع التورت بسكين حاد على المنضدة الصغيرة.. وزع ماهر أجزاء التورت على الحاضرين.. كانت اللحظة لحظة انتصاف الليل فكان هذا إيذاناً بيوم جديد وعلى الفور دقت الساعة لتعلن ذلك وغابت الموسيقى وجاءت نشرة الأخبار.. أنصت وحيد باهتمام وتتابع الأخبار تصف خبراً واحداً من عدة اتجاهات.. كان الخبر هو الانتفاضة الشعبية في فلسطين إثر زيارة شارون زعيم الليكود الإسرائيلي إلى المسجد الأقصى:

- وائل: ما أجمل هذه المذبة.. لها شفتان نهمتان

- ماهر: الفلسطينيون يموتون بلا نتيجة.

- خالد: هذا ما كنا ننتظره منذ زمن طويل.. عودة الانتفاضة.
وكان هذا الحوار قد فتح أبواب الجحيم فأكمل وحيد
- الدكتور بشار غادر مصر اليوم
وائل: في أي تخصص؟ وحيد/ دكتور بشار رئيس جمهورية سوريا
وائل: والله؟
ماهر: الدكتور بشار دكتور رمد
خالد: الأمة العربية فقدت بوفاة حافظ الأسد زعيماً كبيراً.
وحيد: الأصل أن عبد الناصر قد مات.
مرت لحظة صمت حتى ألقى وائل بقنبلة.
- أألزمت تذكر عبد الناصر؟
مرت لحظات قبل أن يستوعب وحيد الكلمات فقد تعود منذ
فترة طويلة على الهجوم على عبد الناصر ولكنه لم يسمع هذا القول
من قبل.
ضحك ماهر ووجم خالد فأكمل وائل.
- إن عبد الناصر هو الذي هزمنا في سبعة وستين.
كانت السجائر قد اشتعلت والخمر قد دارت بين الشفاة فعقد

الدخان سحابته فوق الرءوس.. ابتسم وحيد في وهن وقال
 - لم يهزم عبد الناصر في سبعة وستين بل انهزمنا جميعاً بعد العبور.
 ماهر: ماذا تقولون؟ السياسية كلام فارغ لا فائدة منها..
 انهزمنا.. عبرنا.. ركعنا.. لقد انتهت هذه المسائل والسلام.
 خالد: لم ينته شيء.. سيعود العرب يوماً إلى العالم.
 وائل: ممكن يا أستاذ وحيد تغير هذه القناة التعيسة وتحولنا
 إلى قناة الأغاني.

ماهر: ابحث لنا عن رقص خاصة الرقص البلدى.
 وبالفعل أخذ وحيد يبحث عن طريق جهاز التحكم عن رقص
 شرقى قائلاً:

لن أحزنكم في هذه الليلة.
 لم يجد وحيد رقصاً ولكنه وجد أغنية
 وائل: ثبت هذه الأغنية..أنها رائعة
 كان وحيد يعلم هذه الأغنية جيداً فهي رديئة مثل أغاني
 كثيرة مثلها وكان يعلم أن كل ما بها هو هذه الرقصات الغربية
 والراقصات العاريات.

وائل: أنها مصورة في أمريكا.. ثم انكب يملأ الكؤوس.
خالد: أرايتم السيقان الأمريكية؟
ماهر: لا أعلم لماذا حباهم الله بالأنوثة وحبانا بالغفر؟
وحيد: أنت لم تر جمال الخليج.
وائل: إنه جمال بدوى متوحش رأيتَه في فنادق القاهرة.
وحيد: أنا لا أقصد الجمال البدوي أنا أقصد جمال الحضر العربي.
خالد: إن هذا الجمال هو الذي سيوحدهم العرب.
وائل وقد أخذ يشرب ويميل مع الأغنية. الجنس هو الذي
يستطيع أن يوحد العرب.. ممارسة الجنس كفيلة بأن توحد الرجال
والنساء في الضوء الأحمر.
وائل: ولكن العالم العربي ليس كسائر العالم.. إن العالم العربي
كاملتوسطين ساخنون جنسياً.. لقد جربت النوم مع غربية ولكنها
كانت باردة وشاذة أيضاً.
خالد: بصفتك سافرت إلى بلاد كثيرة من العالم يا أستاذ وحيد
أين النساء أجمل؟
وحيد: الأنوثة هنا يا عزيزي.

لم يعجب هذا الكلام وائل فقال على الفور.
أمريكا هي الأنوثة هل رأيت فيلم تايثانيك؟
- وحيد: لا..

ماهر: ما هو أجمل جزء في المرأة يا جماعة؟
واكتسحتهم الضحكات فرد وائل وهو يزدرد آخر رشفة من كأسه:
كل جزء تستطيع أن تنكح المرأة منه هو أجمل جزء
خالد: المرأة هي أقدر من تفسر التاريخ لأنها الجنس يمشى
على الأرض.

وهنا انتهت الأغنية لتعود المذيعة تذكر بأن هذا الموعد موعد
الأخبار.. وبصيغة أخرى جاءت نفس الأخبار هي هي فانطلق ماهر
ساخطاً: يادى القدس اللى بيتكلموا عنها؟ وضغط جهاز التحكم
فأشرفت قناة جديدة بأغنية جديدة..

ولاحقه وائل: قدس أيه وكلام فارغ أية (يعطوها لليهود
ويخلصوا نفسهم).

خالد: إن كلامك خيانة كبيرة.

لم يطق وحيد كل هذا الكلام فهذه هي القدس التي طالما

عاش أحلى سنوات عمره حاملا بتحريرها: وائل.. القدس هي قضيتنا العظمى وكما جاء صلاح الدين وحررها من أيدي الصليبيين وكما جاء عبدالناصر ليحررها فلسوف نحررها نحن في يوم من الأيام. ابتسم وائل ابتسامة الدهشة وقال: إسرائيل تريد القدس ونحن نملك آلاف الكيلومترات في الوطن العربي فهل القدس هي التي تغير مصير العرب رغم كل المدن العربية؟!

خالد: القدس عربية وستظل عربية

ماهر: القدس ذهبت كهذه السيجارة ولكنكم لا تريدون الاعتراف بذلك.. أمريكا وإسرائيل سيدتا العالم وقد انتهى العرب. وحيد: نحن لم ننته.. الأمر كله أننا نمر بلحظات ضعف وكل الأمم تمر بلحظات ضعف.

وائل: نحن لا نملك السلاح المتطور الذي نحارب؟

وحيد: الاتحاد السوفيتي انهار وكان يملك السلاح النووي.

ماهر: ولكن أمريكا لن تنهار.

وائل: أمريكا هي الحرية.. هي الأمل.. هي الدولار.. العالم كله بما فيهم أنا يتمنى الحياة في أمريكا.. أنت نفسك يا أستاذ وحيد ألم

تذهب إلى أمريكا؟

وحيد: البلد الذي لن أذهب إليه هي أمريكا.

خالد: أمريكا عدوة الأمة العربية وسيجيئ يوم ونصفي

حساباتنا معها.

ماهر: أنت تحلم.

وحيد: هذه قضيتنا.

وائل: قضيتنا هي الرغيف.

ماهر: ليست هي الرغيف فقط.. هي المسكن الذي لا أجده..

هي العمل ذو المرتب المحترم بدلاً من العمل الحقير الذي أعمله

الآن بقروش.. قضيتنا هي المال.

خالد: قضيتنا هي توحيد الأمة العربية.. هي القدس.. هي رفع

الحصار عن العراق.

وائل: كيف؟!

كان السؤال مفاجئاً.. لم تستطع لأول وهلة.. حنكة وحيد ولا

ثورية خالد الرد عليه بعد لحظات جاء صوت وحيد: منذ قرار

التقسيم رقم ١٨١ عن الأمم المتحدة ونحن نحارب من أجل قضية

فلسطين.. إن أمتنا لها هذه القضية بمثابة الروح وكل أمة لها
قضيتها.. أنت تريد أن تنزع منا روحنا.

وائل: أنتم الذين تعيشون على الوهم.. نحن متخلفون أميون فاشلون.
ماهر: قضيتنا هي الاقتصاد المتداعى.

وحيد: ومن يقف بجانب العراق؟

خالد: لقد مات أكثر من مليون ونصف المليون عراقي
والعرب صامتون.

ماهر: لقد وقع صدام في المصيدة وعليهم جميعاً أن يتحملوا
نتيجة خنوعهم.

وحيد: هكذا يضيع العراق والعرب.

وائل: لقد سمعت أن صدام استنسخ نسخاً منه.

وحيد: كفاكم افتراءً

ماهر: هل سمعتم عن الجينوم البشرى؟

وائل: لقد أعلنه كلينتون وبلير.

وحيد: إنها كارثة أن تقع الخريطة الجينية في أيادي المجرمين.

خالد: أنهم سيتحكمون في مصير البشر.

وائل: أستاذ وحيد لقد سافرت كما قلت لي إلى كل العالم أو معظمه وها هم يصلون إلى الخريطة الجينية للإنسان فقل لي كم عام بيننا وبينهم؟

ورد وحيد في حسرة: كثير.

قالها وقد تداعت إليه في لحظة تذكارات أسفاره إلى أوروبا طاف خياله بكل الشوارع التي مر بها وبالمعاملات التي تعامل بها أدرك وهو يقول (كثير) أن ثمة بونا شاسعاً بين حضارة الغرب وما عليه الشرق...

وائل: أنا لا أعلم إلا هذه الكلمة (كثير) لا أعلم عن القرار ١٨١ هذا أى شيء ولا أعلم عن إسرائيل شيئاً ولا أعرف عن القدس شيئاً... كل ما أعرفه أن الفارق بيننا وبينهم ما بين السماء والأرض. ماهر: والفضاء..

وقبل أن يستطرد ماهر عن الفضاء طارده وحيد: (لا فضاء ولا دياولو).. شرع يملأ الكؤوس فرجعوا إلى ضحكهم ولهوهم. - وائل: سمعت أن الملك فاروق كان ضعيف جنسياً هل هذا صحيح يا جماعة؟

خالد: وهل هذا يقلقك؟

ماهر: ألم يكن حاكم مصر في يوم من الأيام؟ تهمنا سمعته.
وحيد: كان نسونجى.

وائل: ليت فارق يعود يوماً.

وهنا خرجت المذيعه لتعلن أنه موعد الأخبار.. أراد وحيد أن يهرب من كل هذه الأحاديث فضغط على جهاز التحكم قبل أن تبدأ الأخبار وسرعان ما استقرت يده على لقطة ساخنة في فيلم عاطفى عربى.

وائل: أين هذه القبلات من بداية الجلسة؟

خالد: إنها أعمق قبلة شاهدتها في حياتى.

ماهر: هل هذه الممثلة الأنسة التى تجيد القبلات عذراء؟

وائل: سؤال غريب.

وحيد: أنا لا أعرف مغزى سؤالك

شعر ماهر أن سؤاله بلا معنى فأثر الصمت.

خالد: الليلة على القناة وذكر اسم القناة حفلة رقص شرقى رائعة.

وحيد: نعم وسترقص بها الراقصة الشهيرة.. وفي ملح البصر أدار

القنوات ليصل إليها.. ووصل إليها.

وائل: هكذا تحلو الليلة.

ماهر: هذه الراقصة قادرة على تجميع العرب.. أتحدى أن
 ملايين العرب تتربح هذه الليلة بفارغ الصبر لتمتع بهذا الجسد
 الشهى وهو يتراقص مع أنغام الموسيقى.
 وائل: إن صدرها مثير جداً هذه الليلة.
 خالد: رغم سنها إلا أنها لا تزال مثيرة
 وحيد: ليس صدرها فقط هو المثير..
 وضع ماهر مكعبات الثلج بالكؤوس بينما صب وائل الخمر
 بها وقال: هذه هي ثورة الثورات (موش تقولى قدس)

ابتلع وحيد الكلمات دون تعليق فهو لم يعد يجد ما يقوله
 أمام هذا الطوفان الذي لم يستطع أن يسميه فهل هو طوفان
 واقعية أم انهزامية أم خيانة أم عبثية أم ماذا.. كل ما انتواه أن
 يكف عن التفكير ويندمج مع الراقصة الشهيرة في هذه الليلة فهي
 تذكره بأيام أنسه مع صديقاته وأصدقائه في الخليج وليالي القاهرة
 بالصيف وبأوروبا في رحلاته.. كل ما كان يحاول أن ينساه هي فكرة
 أن هذه الراقصة قد استطاعت أن تجمع حولها الملايين من العرب
 وعبر أقطار مختلفة دون أن يكون لها فلسفة ثورية أو قومية
 عربية أو خلافة إسلامية. فقط كل ما كانت تملكه هو قدرتها على

إثارة الرجال حتى النشوة.. بعد ساعتين وقد بدى والسكر قد نال منهم والرقص قد أرهقهم والسجائر وقد حرّقت صدورهم لفحهم هواء بارد من موجات أكتوبر المنذرة بالشتاء فسعلوا وغابوا في أعماق الدرج بينما كان محمول وائل يرن في قلب الصمت عاد وحيد مخموراً ولكنه لم يستطع نسيان الليلة بكل ما فيها منذ حديث التليفون مع صديقه مدحت وتدفق الذكريات والأحاديث الغريبة مع الأصدقاء حتى الراقصة التي انخلعت لها قلوبهم.. وجد نفسه مندفعاً إلى الحجرة الثانية والوحيدة في البيت.. فتح فاه الدولاب وأخرج الكتاب القديم.. عبثت يده في أوراقه حتى وصلت إلى الوردة الحمراء المحطمة بخطوب السنين.. حدق بها وبكى.. بكى كما لم يبك منذ سنوات.. بكى وهو يعلم لماذا يبكى.. ولكنه أخفى في صدره مجرد التفكير في هذه اللماذا.. مازال ينظر وحيد إلى الوردة.. ومازال يبكى.

الساعة

ستكون مفاجأة جميلة.. هكذا هتفت.. مرقت بين شوارع قلب القاهرة.. عدلى.. عبد الخالق ثروت.. طلعت حرب.. حتى وصلت إلى ميدان أنور السادات.. في الميدان الواسع أخذت تمنى نفسها بقرب الوصول فلم يعد أمامها إلا اجتياز الميدان الواسع لتصل إلى شارع القصر العيني حيث شقة حبيبها.. اليوم عيد ميلاده وقد أسأذنت من عملها مكتب الترجمة لتشتري له هدية عيد ميلاده.. بعد مجهود شاق إختارت عدة شرائط لأغاني يطلقون عليها أغاني شبابية.. ظلت تختار من المعروض ساعة كاملة.. كانت تود اختيار مطربين واغنيات تعبر عن حبها العميق له وكيف لا وقد مضى على حبها له ست سنوات كاملة تخللتها أحداث عميقة في حياتها من دراسة للثانوية العامة ودخولها الجامعة وعملها في مكتب الترجمة..

تعلم أنها لن تجده الحين فهو بالتأكيد في عمله بشركة السياحة ولن يعود إلا بعد حوالى ثلاث ساعات تكون قد هندمت حجرة النوم وشاهدت فيلماً من أفلام الفيديو التى تكتظ بهم مكتبة الشرائط فى حجرة النوم.

لن تجد صعوبة فى الولوج إلى البيت فهى الوحيدة التى استأمنها على مفتاح البيت لفرط حبه لها وحبها له ذلك الحب الذى لن ينتهى بالزواج لسبب قاله لها ولم تقبله ولكنها لا تملك من أمره شيئاً.. ها هو البيت الواسع العتيق يلوح لها رغم زحام شارع القصر العينى.. سعدت الدرج فى هدوء حتى لا تثير الجيران الذين لا قت منهم نظرات الاستهجان لأنها تلتقى به فى بيت يكثران لساعات بمفردهما.. كانت نظراتهم تقول أن هذا الفعل الغريب خطأ وأنهم يتوقعون ما يحدث بينهما ولكنها كانت ترد على كل هذه النظرات بالإهمال فهى حرة وهو حبها وهما حران.

عالجت قفل الباب بالمفتاح.. ولجت فى هدوء.. وضعت متعلقاتها وهديتها على المنضدة التى تتوسط الصالة الواسعة.. أغلقت الباب.. لأول وهلة لفها السكون فهذه البيوت العتيقة تمتاز

أنها قادرة على عزل قاطنيها حتى وإن كانت في قلب الضوضاء.. كانت الصالة الواسعة تصل إلى أجزاء البيت العتيق ذلك البيت الذى احتفظ بكل تفاصيله حتى بعد وفاة ابويه ولما كان وحيداً وفقيراً فقد بقى الحال كما هو عليه ولكن الشيء الوحيد الذى بقى دون مساس هو حجرة نوم أبويه حتى أنه لم يدخلها بعد وفاة أمه...

حجرة نومه المهملة دائماً كانت في مواجهة الواجه من باب البيت الرئيسى مباشرة وكان طلاؤها الأحمر الداكن يبدو واضحاً من خلف باباه..

النصف زجاجى.. جلست على أحد مقاعد الصالة لتستريح قليلاً وبعد برهات سمعت صوتاً غريباً يأتيها من خلف باب حجرة النوم. لأول وهلة لم تتعرف على ما هية الأصوات ولكن بالتدرج أدركت كل شيء.. كان صوت لقاء جنسى ساخن خلف الباب النصف زجاجى...

جن جنونها ولكنها كانت تكظم هذا الحنق المجنون فهى تعلم أنها ليست الفتاة الوحيدة في حياته وأن علاقتها العاطفية والتي

اعترف بها بل خصها بها هي مجرد علاقة خاصة بينهما تضى على العلاقة الجنسية بينهما مذاقاً خاصاً بل أن هذه العاطفة المتأججة بينهما هي التي جعلته يحافظ عليها عذراء كدليل منه أنه لا يريد أن يحولها إلى امرأة كما فعل مع عشرات الفتيات. تلك الفتيات اللاتي يهوين إلى حبه بعد أن يصطادهم في سن السادسة عشرة فهذا السن.. في رأيه.. هو السن المناسب لاصطياد المرأة والاستمتاع بها في مرحلة التوهج والجنون الجنسي والعاطفي وهي المرحلة التي لن تتكرر في أي وقت قادم في حياتها.

ياسر هذا هو اسمه كان فيلسوفاً كبيراً في عالم المرأة يفهمها من أول نظرة ويؤثر بها من أول كلمة وقد ساعده على ذلك وسامته الشديدة وجسده المتناسق القوي البينان.. تذكرت الآن معاركها العديدة معه لهذه العلاقات الجنسية المتعددة في حياته مع فتيات وأرملة ومطلقات على كل الأشكال والأنواع بل والجنسيات.. تذكرت وقد سحقها الألم لأنها كانت تريد أن تحتويه وهي في يوم عيد ميلاده.. كانت تريد أن تكون هي الوحيدة في هذا اليوم الخاص بجانبه هذا بجانب الغيرة النسائية المعروفة التي ورثتها عن أمها

وكانت سبباً قوياً في الشقاق بينها وبين أبيها كانت تريد الانفراد بالطاوس.. وهكذا كانت تسميه في قرارة نفسها.. في هذه الليلة وتمتعه بجسدها الفتان لتشعر أنه وعلى الرغم من كل علاقاته حتى مع بعض جاراته هي الوحيدة التي تعطيه المتعة القصوى. رغم أنها عذراء ألا أنها تتفنن في ممارسة الجنس وتطيعه في كل رغباته التي تصل إلى حد الأوامر في حياتها بل إنها تحاول أن تنفذ الحركات الجنسية والأوضاع المتعيرة في الفيلم الجنسي الذي عادة ما يختاره من مكتبة الأفلام الجنسية في حجرة نومه ويشاهدانه في العملية الجنسية التي تبذل فيها كل جهدها لتناول رضاه ومن ثم تمتعه تهادى إلى سمعها أيضاً أصوات موسيقى الفيلم الذي عشقاه معاً لأنه كان يثيرهما أكثر من غيره.. تعلم جيداً.. كل تفاصيله بل تحفظ موسيقاه التصويرية..سحقها الأم فهذا الفيلم خاصة يكاد يكون تذكاري بينهما هما فقط.. إن الأمر أذن ليس احدي رفيقاته وإنما امرأة قد أخذت مكانا هاماً في حياته وقد غدّى هذا الشعور المؤلم تلك الضحكات وهذا الانسجام الرهيب الذي يدل على عاطفة ورغبة حارقة..وكل هذا في هذا الوقت الذي من المفروض أن يكون

به بعمله أى أنه موعد خاصاً جداً لا يريد أن يعرف به أحد.. وكل هذا أيضاً فى يوم عيد ميلاده الذى وعدھا منذ أسبوعين أنها هى الوحيدة التى ستكون به فى هذه الحجرة..

كادت تخرج من البيت بعد أن تترك رسالة تسبه به بأغظ الألفاظ ولكنها لم تستطع فقد كان هناك فكرة تستولى عليها وهى أنها لابد أن تفسد هذا اللقاء وتقتل هذه المتعة وتعرف من هذه المرأة التى اختصها دونها بهذا التوقيت وهذا اليوم..

أشعلت سيجارة وقد حرق قلبها تعالى الضحكات ومعه أنين المهذ الذى تعرفه تماماً فتعرف من أيننه ماذا يحدث على سطحه. بعد أن أنهت تدخين السيجارة كانت قد قررت أن تهدم المعبد على من فيه..

قررت أن تقتحم الغرفة الفسيحة الحمراء وتوقف الفيديو الفائز وتنتهى هذا اللقاء الرهيب.. وتتهمه بأنه خائن وحانث بالوعد وتتنهز الفرصة لترى مفاتن تلك المرأة وتقارنها بنفسها خاصة أنها ستكون فى تلك اللحظة بلا رداء.. استجمعت قواها.. أطلقت زفرة حادة.. سارت فى خطوات ثابتة حانقة أدارت مقبض الباب فى قوة

وسرعة وكأنها تفاجئهما توقفت الانفاس اللاهثة ومعها الضحكات والأناث ومعهم أنين المهد سحقت ضاغط الفيديو بضربة واحدة فخرس ثم طوحت ينها في ثورة إلى ضاغط المصباح الكبير بجانب اطار الباب لأن الضوء غير كافي للتعرف على تفاصيلهما استغرق هذا الاقتحام أربع ثواني ولكنه كان كفيلاً أن يبدد أمن المتلاقين وأن يحول هذه المتعة إلى ذعر والحضن إلى فرقة والنظرة اللاهية إلى أخرى مترقبة فزعة وكانت كافية أن يفترق الجسدان في حركة تلقائية قبل اكتمال المتعة ونضوجها في الذروة بعد التحام ساخن.. بعد أن أضاء المصباح الحجره الحمراء كانت تستعد للصراخ والثورة ولكن شيء من ذلك لم يحدث فقد أخذ الجميع مفاجأة رهيبه تضاءلت معها كثيراً مفاجأتها تلك التي وجدته بها يضاجع أخرى.. تجمدت الدماء في عروقهم لأول وهلة لم تصدق نيفين وكان هذا اسمها الأمر ظنت أن هذه اللحظة أكذوبة كبرى في حياتها كان من الممكن أن تتخيل أى امرأة أخرى إلا هذه المرأة.. كانت لحظة تضاءلت فيها معاني الخيانة إلى درجة أن أصبحت هذه اللحظة هى المادة الخام للخيانة والانفلات والضياع.. تسارعت مئات الاسئلة إلى

ذهنها ولكنها لم تجد اجابات شافية.. فشلت في أن تفسر خلفيات هذه اللحظة فهي في حاجة إلى تفسير منه (من ياسر) ومنها (من ناريمان..). أختها.

لم تكن ناريمان في أى وقت مضى مجرد أخت لنيفين ولكنها كانت موضع ثقتها وأسرارها بما فيها أسرار علاقتها بياسر بأدق التفاصيل حتى تفاصيل اللقاءات الجنسية المتوحشة التي جمعتهما.. باختصار لقد أدخلت نيفين ناريمان عالمها بالكامل رغم أن بينهما أربع سنوات فارق في العمر فقد أكملت نيفين عاملها الثانى والعشرين منذ عدة أشهر. عندما تعقدت الأمور لم تفعل نيفين إلا شيئاً واحداً.. بكت وبشدة وكأنها تنزف الثقة والأخوة والحب وكل الليالى التي باتت فيها في حجرتهم المشتركة حجرة نيفين وناريمان وقد حكت إلى اختها كل خلجات نفسها وكل معاناة حبها مع هذا الحبيب الطاووسى ياسر انسحبت نيفين من الحجرة الحمراء كأنها تهرب من واقع أليم.. ارتمت على أحد مقاعد الصالة. دفنت وجهها بين كفيها وأجهشت بالبكاء لم يجدا بدا ناريمان وياسر من الانصياع لواقع جديد هو عدم تكملة ذلك الجماع الذي

في هذا اليوم الجميل..

أشار ياسر إليها بأن ترتدى ملابسها وقد تحسر على تلك الذروة الجنسية التي أخذ من أجلها قرصاً من الدواء الغالي.. في هدوء شديد ارتديا ملابسهما.. خرجا إلى الصالة لا يجدان ما يقوله.. بعد لحظات كان لابد ليسار أن يفتح الموقف المتأزم بكلمات مهدئة: نيفين إهدئي.. سأشرح لك كل شيء.

رفعت وجهها وهي لا تزال تبكي فراعها ما هو أفدح من الخيانة، راعها أنهما لم يكنا مكترثان بما ألم بها من فجيعة.. كانت ملامحهما متجمدة باردة مستهزئة بل مستهجنة وهذا ما أزاها أماً وحرزاً ورغبة حارقة في الثورة ورغبة حارقة في أن تعلم كيف حدث هذا.. بعد جهد كبير قامت في وهن.. واجهت ناريمان التي لم تهرب من نظرات أختها.. وفي لمح البصر رفعت نيفين يمينها وهوت على وجه أختها صائحة: خائنة حقيرة.

ترنحت ناريمان بفعل هذه الصفة الشديدة الفائرة ولكن نظراتها لم تتغير وإن كظمت ثورها هي كأنها تعترف ضمناً أنها أخطأت وتدخل ياسر فأمسك كتفي نيفين يهزهما في عنف منها

إياها عن هذا التصرف الأحمق. ولكن نيفين ثارت واتهمته هو الآخر بالخيانة وأن فعلته الشنعاء لا تقبل الغفران ثم أرادت أن تنقض مرة أخرى على ناريمان التي لم تحتمل هذه المرة الإهانة فردت لأول مرة ثائرة: كفى.. كفى يا نيفين.. ليس من حقدك هذه الثورة.. وليس من حقدك أن تتهميني بالخيانة.. أنا أحب ياسر مثلما تحبينه وقد كان أمينا معي من أول يوم صارحته فيه بحبي قال أنه يحبك وأنت تحبيه وأنه لن يحب غيرك ولكنه في نفس الوقت لن يتزوجك لا أنت ولا أي امرأة أخرى وأن حبكما لا يتعارض مع علاقته الجنسية معك ومع الاخريات وما أنا إلا واحدة ممن أحببته وضاجعته.

كانت الكلمات تسقط كالصاعقة على رأس نيفين حتى اللحظة لم تصدق ما رأت ولا تصدق الآن أن هذه هي ناريمان كاتمة أسرارها وصديقتها الحميمة وأختها وهي الآن من تريد التبرير لها أنها تضاجع حبيبها..

كان رد نيفين كلمة واحدة: قدرة.

وهنا ثارت ناريمان ثورة عارمة كأن الكلمة قد وقعت على

شعور يهوج بها.. تنحى ياسر عن الموقف واحترار بين السعادة التي تخمره وهو يرى اثنتين تتصارعا من أجله وبين ادراكه عدم قدرته عن أداء دور ما يخفف من حدة الموقف فقد وقع المحذور الذي يخشاه منذ مدة طويلة لا حيلة له في التخفيف من صدمته وآثاره. وردت ناريمان: أنا لست قدرة.. أنت.. أنت يا نيفين السبب في كل ذلك فلا تلومين إلا نفسك لقد أحببت ياسر قبل أن أراه وأنت من جعلتني احبه.. تذكرى.. لقد بدأت تروين لى عن أسرارك منذ ثلاثة سنوات كنت ساعتها في الخامسة عشرة من عمري.. كنت عصفورة رقيقة من البيت الفقير إلى المدرسة الحمقاء.. كنت أخجل من كلمة مغازلة من صبي مثلى وكنت أعتر ببيكارتى وبجسدى.. أنت من أيقظت في الرغبة.. أنت التي حكيت لى عن تطور علاقتك بياسر منذ ست سنوات منذ أن كان سنك ستة عشر عاماً.. حكيت لى عن الحب وعن الجنس ولم تكثف بذلك بل رحمت تحكين لى عن تفاصيل علاقاتك الجنسية مع ياسر وعن شعورك بالمتعة معه بل حكيت لى عن الأفلام الجنسية التي كنت تشاهدها معه بل ما هو إلا فدمج من ذلك لقد علمتني الطرق السرية للمتعة والإثارة

فحصت بي الشهوة.

ولم تطق نيفين هذه القسوة كأنها تتبرأ مما فعلت أو كأنها لا
تريد الربط بين ما فعتله مع أختها وبين ما رأته بينهما
فردت: اصمتي.. اصمتي.

ولكن ناريمان لم تصمت فثارت أكثر فأكثر:

نيفين أنت من علمتني الجنون فالرغبة جنون وأنت من
علمتني الحب وممارسة الجنس فكيف لا تتوقعين من فتاة في
مثل عمري أن يحرقها الحلم بأن تكون أنثى وكيف لا تتوقعين
منى ألا يأخذني الجنون من عالم الحلم إلى عالم الواقع كنت أبحث
عن مغامرة مع من يغازلوني بالشارع لأشبع بها رغبتى وكنت
أتعلق بالأغاني كما تفعلين.. لأهيم مع كلماتها فأحببت كل المطربين
وتخيلت مضاجعتهم في خيالي بل راسلتهم وطلبت من احدهم
صراحة أن يضاجعني وانتظرت رده ولكن لم يأتني رد بالطبع
أتعلمين لماذا فعلت ذلك؟ لأنني أحببت عن طريقك ياسر.. أحببته
من وصفك له ومن عشقتك له ومن وصفك لقدرته على إروائك
حتى وأنت عذراء وعشقته لأنه له الكثيرات من العاشقات. كنت

أهرب من هذا الحب الذي اعتبرته حباً آثماً فكيف أسطو على حب أختى حتى جاءت اللحظة الفاصلة وقدمتية أنت إلى اسرتنا على هيئة صديق العائلة.. فجأة وجدت فتى أحلامي ماثلاً أمامي فهويت إلى حبه أكثر وظللت أقاوم حتى صارحته بحبي له منذ عام كامل.. صارحته بكل شيء حتى بأفكاره ولم أطلب منه إلا أن أكون عشيقته وطلب منى البكارة فأعطيتها له عن طيب خاطر ومن هى التى تحتفظ بالبكارة اليوم عن عذرية حقيقية لا عن ورقة فى مهب الاحتكاك!؟

وردت نيفين: كل هذا ليس عذراً... أنت خائنة خائنة.
 ناريمان: أنا لم أخنك.. ياسر يهوى النساء وأنا من النساء أو أصبحت من النساء وأنا لم أطلب منه أن يكرهك أو حتى أن يحبنى دونك لقد قدمت له نفسى عشيقة مع احتفاظك بحبه واحتفاظه بحبك...
 أنا مجرد فتاة ضاجعها بعد أن حولتها أنت من العقل إلى الجنون ومن الطهارة إلى الدنس ومن العفة إلى المجون..
 نيفين أنا أحب ياسر بلا أمل ولكن الفارق بينى وبينك هو أنه يحبك لهذا تركك بالغشاء وأنه أحب فيه الرغبة والجسد وتفاهمنا

على ذلك..

نيفين: أنت تريدين أن تحملينى الخيانة.. لقد كنت أعتبرك
كائمة أسرارى ولم أتخيل أن كلماتى ستشيرك إلى هذه الدرجة..

ناريمان: نيفين كوني عاقلة لقد نشأنا سوياً بلا أب وحاولتى
أن تكونى أنت الاب أحيانا ولكن المأساة تفرض نفسها.. هل يمكن
للضياع أن يهب النجاح.. هل يمكن للتفسخ أن يهب الصمود لقد
عاشت أسرتنا تكافح من أجل الحياة بعد أن تزوج أبونا بأخرى غير
أمنا وتركنا بدون ما يقيم أودنا اللهم إلا اللهم.. عانت أمنا كثيراً
حتى صارت تشحذ.. ما نحن فيه نتيجة طبيعية للظلم أنت وجدت
الحنان فى ياسر ولم تجده فى أبينا وأنا وجدت فيه الارتواء لما بثتبه
أنت فى حياتى من جنون.. الكل فاشل وماجن وظالم.

يا نيفين: ليس هذا هو كل شىء فالإثم أكبر من خيالك فياسر
لا يضاجعك أنت فقط فى عائلتنا المحترمة ولم يقصد بكارتى فقط
ولكن له علاقة ساخنة بأمنا..

هوت كلماتها كالصاعقة الجديدة على رأسها.. أمنا؟ مستحيل
مستحيل هذه وضاعة..سفالة.. انهيار.. انحطاط.

لقد ظلت أمها رمز الكفاح في حياتها ظلت رمزاً مضيئاً رغم احساسها الداخلى بأنها آتمة لأنها قد سلمت ياسر جسدها وهذا هو ما جعلها تحجم عن الافصاح لامها عن مكنون تجربتها فأفصحت لأختها فأفسدتها دون أن تدري. الآن هذا الطاووس يزحف بل زحف إلى الأم.. نور. لم يبق في العائلة إلا الابنة الصغرى البريئة (عزة) صاحبة السبع عشرة عام.. بعد دقيقة كاملة دارت بعينها إلى أختها من ياسر وقالت في صوت متهدج:

أمنا!؟

وردت ناريمان في تسليم عجيب: نعم.. أمنا.. وأنت أيضاً السبب أنت من أدخلت ياسر بيننا كصديق.. قلت لك أننى قاومت حبي له ولكنى وهبته نفسى عندما عدت إلى بيتنا الفقير يوماً في غير موعدى.. تماماً مثلما حضرت الآن.. لأجد ياسر مع أمنا في غرفة نومها.. واجهتهما ولكن أمك.. أمنا صفعتنى ولم تدافع عن نفسها بل جهرت لى بالعلاقة ومنذ أشهر خالية وأنها سوف تستمر إلى ما تريده هى وأنها لم تعد تخشى أحداً لا الأب المبتعد ولا الجيران ولا ما أسمتهم الناس ولا أحد.

وإلى هنا لم تستطع نيفين الحديث فقد أدركت أنها تحتاج إلى تفسير من ياسر نفسه ولكن ياسر زاغ ببصره وقد أثر الصمت.. ولم تتوقف ناريمان فقالت في هدوء:

لا تتفاجأى يا أختاه فالكل منهار وكل شيء للبيع لقد آن الأوان أن نشترى ونبيع نحن أيضاً وقد آن الأوان أن نكون من الأثرياء وهذا موضوع جديد سأترك ياسر يرويهِ لك لأن أعصابك لن تتحملة منى.. إن هناك مشروعاً في حياتنا يكاد يكون مشروعاً وطنياً قومياً سيخرجنا من الفقر والعوز إلى بداية الطريق إلى الحياة والثراء ونحن أنا وأممك نريدك معنا في هذا المشروع.. أرجو ألا تعارضى في هذا المشروع بالعاطفة ولكن عليك أن تشاهدى الواقع.. كل الواقع.. من حولك، لتأخذى القرار الصحيح بالانضمام إلينا في هذا المشروع لقد آن الأوان أن تخرجى من حالة الحب التى سيطرت عليك ووهبتك.. إلا الغشاء.. إلى ياسر إلى حالة الحياة التى لا تعترف إلا بالدولار.

همت نيفين أن تسألها عن هذا المشروع ولكن ناريمان كانت قد استعدت للخروج وعندما وصلت إلى الباب قالت:

نيفين أعود أقول لك أننى لست قذرة أنا واقعية وإن كنت قذرة فلن أكون أكثر قذارة من معلمتى.. أقول هذا وستعلمين معناه من ياسر بعد قليل..

خرجت وأغلقت الباب فى هدوء بعد أن هندمت ردائها.. كانت الأفكار تعصف بعقلها تتداخل الأسئلة وتخمن أجوبة تحاول بها أن تبرئ ياسر ولكنها بعد حين تدرك أنها أجوبة هاوية ضعيفة فيعود من جديد فى قفص الاتهام ورغم تلك الضربات المتلاحقة ورغم أنها كانت تود تبرئة ياسر من كل هذه الآثام الشخصية ولكنها كانت قد بدأت تفهم لأنها كانت تعلم الطاووس أكثر من غيرها وطوال أعوام ست.

أما ياسر فقد بدى أنه غير مضطر إلى تبرير موقفه فقد أفادته ناريمان كثيراً فقد صارحها منذ سنوات طويلة أنه لن يتزوجها ولن يتزوج امرأة أخرى سواها رغم حبه العميق لها لسبب بسيط أنه لا يثق فى أى امرأة مهما كانت حياتها ومهما كان سنها فشعاره (من فراش إلى فراش ليس لنا إلا القرار...) إذن فلا يوجد أى حق لها عنده وأنها تتحمل المسؤولية كاملة لما حدث لأختها معه.. ورغم

ذلك فقد كان يقدر وقع المفاجأة على نفسها الرقيقة والتي يعلمها جيداً لهذا فقد قرر أن يكون لطيفاً معها:

نيفين.. أنا آسف.. آسف إن كنت قد آلمتك.

وجاهدت لتخرج الكلمات.. كانت تريد أن تتأكد مما يدور بخلدها ومفادة هل كان دخول ياسر إلى البيت مصادفة أي حسن نية منه أم كان تديراً مبيتاً منه لاغتيال الاسرة.. فقد تذكرت الآن أنه هو الذى أوحى لها بفكرة أن يكون صديق الاسرة وفي هذا تقديم لعدم إثارة اللغظ من أسرتها إذا ما وصل إليها أخبار لقائهما فى شقته وفي نفس الوقت يكون أكثر قرباً منها وأكثر قدرة على الاتصال بل فى أى وقت. تتذكر الآن أنه لم يقترح هذا الاقتراح إلا بعد أن روت له كل التفاصيل عن أسرتها حتى عن عزة أختها الصغيرة التى استقلت منذ سنوات فى حجرتها الصغيرة بعيداً عن الجميع فهى متفوقة وتريد أن تلتحق بطب القصر العينى فى يوم من الأيام.. وروت:

آسف؟! على أى شىء فى جريمتهك تتأسف؟! هل وصلت بك الدرجة إلى أن تغتال أمى... أمى.

- أنا لم أغتلبها.. كانت وحيدة محرومة من حنان الرجل.
- وكنت أنت هذا الرجل؟!
- صدقيني إن الأمر كله رغماً عني وأنت تعلمين أنني أضعف
دائماً أمام النساء.

- لم يكن الأمر مجرد صدفة.. لقد دبرت لاغتيال أسرتي إنني
الآن أتذكر كل شيء كنت تطلب مني وصفاً دقيقاً لكل شيء بالبيت
حتى جسد اختي وأمي.. كنت تسألني عن أشياء غريبة وعن
القضية التي رفعتها أمي ضد أبي لطلب الطلاق وعن الفترة التي
بقيت فيها أمي بدون أبي..

إن كل أسئلتك كان توحى بأنك تدبر لفكرة اختمرت في
رأسك.. ثم أنني أعرفك أنت تصطاد الفتيات في السادسة عشرة
لأنهن مجنونات شبقات وأنت من تصطاد الأرملات والمطلقات
لأنك تعلم أنهن يحلمن بالرجل بعد أن آلمتهم الوحدة وطحنهن
الحرمان إلى الرجل.. أنني أحفظك عن ظهر قلب ولن تستطيع
خداعي مرة أخرى..

- أنا لا أريد خداعك ولكني لن أكون أمامك متهماً بأى حال من

الأحوال.. أنا لا أخاف أحداً وبالتالي لا أخافك ولن أخافك.. نعم.. لقد فهمت من كلماتك عن أسرتك الحالة النفسية التي تعيشها أسرتك.. تخيلت أن ناريمان أختك كان لابد لها أن تعيش في جحيم بعد أن أضرت أنت بها النار وأنه لابد لأملك التي تدخن السجائر بشراهة أن تكون فريسة الوحدة والرغبة التي تحن إلى الارتواء.. فهل أترك هذه الفرصة لغيري؟! محال ولقد تأكدت بعد أن أصبحت صديقاً للأسرة. كانت أختك تطيل معي المكالمات عن تعمد وكانت أملك تنظر إلى جسدي الذي تعرفيه جيداً نظرة المتوسل.. وكان ما كان..

- أنت اغتلت أسرتي.. أنت حقير.. حقير..

صفعها بشدة فهوت أرضاً وقال في حنق:

- لا تهدمي في لحظة طيش حياة عميقة عمرها ست سنوات.

- أي حياة؟ حياة العار والزيف والقذارة

- أنت الآن تنكرين فضلي عليك.. تنكرين تخطيطي المتقن

لحياتك طوال هذه السنين.. أين كان أبوك عندما تركك قطعة ساذجة وعمرك اثنا عشر عام؟! تذكرى أول لقاء بي معك.. وأنت في السادسة عشرة من عمرك.. فتاة بيضاء.. في جسدي وعقلك.. بلا تجارب بلا

فكر بلا مستقبل بلا تخطيط ولولا أننى وجدت فيك البراءة التى لم أجدها فى كثيرات لكنك اغتلتك أنت شخصياً وحولتك إلى امرأة فى لحظات.. لقد أحببتك وعلمتك الحب وعلمتك الجنس ومتعتك كما لن يمتعك رجل آخر فى الدنيا وليس هذا فقط بل أغدقت عليك من مالى فاشتريت الرداء والزينة وكثير من احتياجاتك الخاصة وحمستك للمذاكرة حتى لا تضيعين ونجحت فى الثانوية العامة بعد أن ذاكرت لك بنفسى بل وجعلت أصدقائى يدرسون لك دروسك مجاناً بل واخترت لك آداب قسم انجليزى لأن اللغة اليوم الأجنبية طبعاً هى السلاح الذى لا عمل بدونه ماذا فعلت زميلاتك الآن ممن دخلن كليات أخرى وأقسام أخرى بالآداب؟ لا شيء.. وليس ذلك كل شيء.. بل أنا الذى تدخلت وأوجدت لك وظيفة تتكسبين منها المال لتنفقى على نفسك وأسرتك حتى لو كانت هذه الوظيفة مؤقتة إلى أن آخذك إلى مجال السياحة.. مجالى، لتعملى بجانبى فلا تفارقينى.. كنت أنا الحبيب والعشيق والأخ والأب وكل شيء حتى المعلم وفى الدراسة والحياة والجنس.. أريتك عشرات الأفلام الجنسية المرصوفة فى مكتبتى لأكمل فضلى عليك.. باختصار

لقد كنت لك الحياة في حد ذاتها والآن تتهميني بالحقارة؟! أنت جاحدة وظالمة وحمقاء..

ابتسمت ابتسامة سخرية وردت في حزن عميق:

أنا أريد أن أقول لك شيئاً.. أنت لا شيء.. وكل هذا ليس مبرراً لاغتيالك لأمي.. هل تعلم معنى كلمة أمي؟! لقد كانت أمي الرمز الوحيد المضيء في حياتي.. حياتي التي حولها حبي لك إلى قذارة وشذوذ.. أنت مغرور.. مغرور بجسمك وبقدراتك الجنسية وبوجهك ومغرور بما أود الاعتراف به لك أنك على قدر هائل من القدرة على معرفة وفهم أي امرأة تقابلها في لحظات..

أنت طاووس.. هذه هي الحقيقة أنت طاووس.. والطاووس للزينة وليس لأي شيء آخر لقد أحببتك نعم.. اعترف وأنت أحببتني.. ربما.. ولكن قل لي ماذا يعني هذا الحب بلا احترام.. أنت لم تحترمني عندما مارست الجنس معي عندما حولتني إلى رغبة متوحشة فأفسدت بها أعز من لي في الحياة.. وأنت لم تحترمني عندما اتخذتني جسداً إلى اسرتي لا لتستغلها ولا لتنصب عليها ولكن لتضاجعها لتمارس معها الجنس بكل أنواعه بما فيه الشذوذ..

نعم أنت علمتني الحياة ولكنك حطمت في الكرامة..
 -نيفين.. أنا أقدر حالتك.. فالصدمة بل الصدمات قاسية عليك..
 اهدئي لأن ما أحتاجك فيه أهم بكثير من كل ما مضى.. نحن الآن
 على أعتاب مشروع كبير سيأخذنا إلى أول درجات الثراء.
 - أنا لا أريد شيئاً منك.
 - لا ترفضى إلا بعد أن تعرفي.
 - ماذا تريدني أن أعرف؟
 - نيفين.. أريدك أن تمثلي معي فيلماً جنسياً.
 وكان مفاجآت اليوم لا تنتهي.. فغرفاها.. ترنحت.. هوت على
 أقرب مقعد.. فأزاد

-نيفين القصة ببساطة أن مستر جورج أتى إلى القاهرة ليصور
 أربعة أفلام جنسية بأبطال مصريين ولكنه صاحب فكر فهو يريد
 للأفلام الأربعة ذكراً واحداً وأيضاً يريد أن يكون للأفلام الأربعة
 فكرة جديدة هي أن ذكر الفيلم أي البطل سيمارس الجنس مع
 أسرة وليس مع بطلات متفرقات.. أي أن الذكر سيمارس الجنس مع
 أم وابنتها أو ابنتيها تماماً مثل حالتنا هذه وبالفعل استطاع مستر

جورج أن يجد ثلاث أسر كل أسرة مكونة من أم وابنتين وبالطبع كلهن نساء ليست بينهن عذراء واحدة.

وقد صممت أن تكون الأسرة الأولى في الفيلم الأول هي أسرتك أسرة (نور) أمك والبطلات أنا وأمك وناريمان وبالطبع أنت.

لم تجبه فقد تحولت المفاجآت إلى ذهول فأزاد يجب أن تعلمي حجم المعاناة التي عانيتها مع مستر جورج لأظفر منه على الموافقة بأسرة نور لأنه كان على وشك أن يتعاقد مع أسرة أخرى من حى السيدة زينب.. نيفين هل تعلمين ما هو أجرى عن كل فيلم؟! أنه أربعة آلاف دولار أى أننى سأحصل على ستة عشر ألف دولار فى هذه المهمة الجميلة.. هل تعلمين كم ستحصل كل من امك وناريمان. ستحصلان على ثلاثة آلاف دولار لكل منهما أى أكثر من عشرة آلاف جنية مصرى مبلغ رهيب أليس كذلك؟! بإمكانك الآن أن تحصلى على أكثر مما ستحصل عليه كل بطلات الأفلام الأربعة لأنك الوحيدة العذراء وفض البكاره فى فيلم جنسى سيكون له ثمن آخر.. يا نيفين ليس هذا هو كل شىء فقد وصل مستر جورج إليّ بعد أن بحث فى كل بارات وفنادق وصالات القاهرة..

كان يريد بطلاً من نوع محدد له قدرات جنسية عظيمة.. قوى
البينان.. وسيم.. رشيق.. له ملامح مصرية صميمة.. على خبرة عالية
بالمرأة وقد رشحنى إليه عدد غير قليل من عمال البارات والصالات
نيفين إنها فرصتنا للثراء.. للحياة.. خاصة أن أمك قد وافقت ومعها
ناريهان.. لقد أقنعتها بالمهمة بعد يومين كاملين بالمناقشات..

لم تستطع الحديث فقد شعرت بأن كل العالم ينهار أمامها إن
حببها لم يكتفِ باغتيالها واغتيال أسرتها بل حول أمها إلى محترفة
دعارة؟! هرعت إلى الحوض وتقيأت فلم تستطع تحمل المزيد من
العار (هكذا فكرت).. بعد دقائق واجهته وقد ازدانت عيناها بنظرة
وهتفت: لن أتحوّل إلى عاهرة مرتين مرة في السر ومرة في العلن.
- كنت أعلم أنك مجنونة.

- أنا لست مجنونة.. أنتم اللذين بلا وصف لأن لغتنا على
اتساع كلماتها لا توجد بها أوصافكم لأن أجدادنا لم يتخيلوا سلوككم
وبالتالي لم يضعوا صفات لكم في لغتنا

- ما هذه الفلسفة العميقة؟! نيفين أنت لن تمارسين الجنس
مع غريب عنك.. سأكون أنا البطل فأنا لن أسمح لأحد غيري أن

يفض بكارتك..

- أنت لعنة أصابت حياتي.. إننى أقولها لك صريحة لقد جئت منذ ساعة إلى بيتك وأنا كلى حب لك ولكنى الآن احتقر نفسى لأننى أحببتك واحتقر جسدى لأنه رضح لك واحتقر حياتى كلها لأنك انغمست بها أننى أكرهك.. أكرهك.. واحتقرك من كل قلبى. احتقرك بعدد أيام معرفتى بك وبعد لمساتك لى ولمساتى لك.. إننى لن أكتفى باحتقارك بل سأقاوم هذا العار وسأمنع أُمى من أن تتحول إلى عاهرة.. سأمنع العالم كله أن ينهار أمامى.

تركته وهو يهز رأسه علامة الأسى قائلاً: أعلم أنك مجنونة.. خرجت إلى الشارع كأنها ترى الناس لأول مرة.. شعرت أن ثمة شيئاً جديداً فى ملامحهم قد تغير دمهم قد أصبح ماء ولكنها عادت وتساءلت وسط فزعها.. هل الناس هم الذين تغيروا أم أنها هى التى تغيرت ومعها أسرتها؟ المساكين البيوت الجدران الطريق الطوار السيارات كل شيء قد تغير ولكنها لم تكن تدرك إلى أى مدى تغير وهل هذا التغيير تجاوزها ليركها فى عالم معزول أم أنه سيجرفها فى طياته؟! شعرت كأن الأهرام تنهار وأن السد العالى قد تفتت

وأن النيل الوديع يهدر من خلفها في فيضان عات من بحيرة ناصر ليغرق الوادى بمياه جديدة.. الجدران تنهار.. الغبار يخنق الصدور ويعمى العيون الحجارة تسد الطرقات.. كانت تود أن تصرخ بلا ولكنها لم تكن تعرف من على وجه التحديد ستقول له لا هل لكل الناس أم لفرد واحد من الناس؟

كل ما كانت تعرفه أنها لا بد أن توقف هذه الكارثة لا بد أن تواجه أمها وتوقفها عند حدها.. دخلت إلى شارعها شعرت أنه يلفظها وأن سكانه يرونها عارية هي وأسرتها ولكنها جاهدت حتى وصلت إلى دورها وفتحت الباب فواجهتها ناريمان وقالت لها: (أمك تنتظرك بحجرتها) في خطى مهترئة دخلت إليها.. كانت تشعل سيجارة في قلق وقد بدى عليها أنها تعرف ما ستقوله لها.. التقت العيون في نظرات لا تتسع معانى اللغة لوصفها فكيف للغة أن تصف الازدراء والسقوط والاحجام والقلق والرجاء والقنوط واليأس والفقر والتطلع والبؤس والحرمان والبنوة والأمومة والمثل الأعلى والانهييار في لحظة واحدة؟ وكما تستحى اللغة استحت نيفين ولم تستح الأم التي قالت في جفاء: ماذا تريدين؟

ردّت نيفين بكلمة واحدة كأنها تريد أن تقولها: ماما.
ولكن الأم أخفت تأثير الكلمة التي انخلع لها قلبها عليها
فقالت: نعم.

- ماما.. لقد حكى لى ياسر كل شيء.
- ولكنى لم أكن فى حاجة إلى أن يقول لى شيئاً عن علاقتك به
فقد فهمت ومنذ فترة طويلة أنك على علاقة بشاب وعندما جاء
ياسر إلى بيتنا الصغير الفقير عرفت أنه هو الشاب الذى ضاجعك.

- ماما.. سامحيني.
- ليس هذا هو وقت التسامح.. ما فات قد فات.
- ماما.. نستطيع أن نبتعد عن كل هذا الماضى الآثم.
- ومن قال أنه آثم؟!
- إنه آثم

-معايير جديدة لم يعد آثم.
- ماما.. لا تفعلى.

وهنا تجمدت نظرة الأم ولكنها لم تستطع مواجهة الإبنة
فأدارت وجهها إلى الشارع.

- ماذا تقصدين يا نيفين؟
- أنا أقصد هذا الشيء الرهيب الذى قاله ياسر.
- ما هو؟
- الفيلم
- هل تريدین الاشتراك معنا فيه؟
- بالطبع لا
- ولماذا بالطبع.. يكفيك لا.
- ماما. إن هذا عار.. عار.
- وضحكت الأم ضحكة رقيقة ساخرة.
- نيفين وماذا الآن غير العار؟ حبيبتي الصغيرة قد فات أوان المقاومة..
- لا يا أمى.. الفرصة ما زالت أمامنا لكي نعيش شرفاء الكل
- يخطئ ويصيب ودائماً هناك توبة ورجوع إلى الحق.
- لمن أرجع إلى الحق؟ ألى أبيك؟ الذى تركنى وتزوج بأخرى
- ورمانا جميعاً حتى أنتى، كنت أشحذ مصروفاتى منه باكية؟! ألى
- أقاربي الذين لم يساعدنى منهم أحد إلى درجة أن ابن عمى كان
- يراودنى عن نفسى؟! إلى الناس وما أدراك ما الناس يا بنيتى.. الناس

الذين يتدخلون في حياتنا دون أدنى احترام لمشاعرنا ولا يحترمونا إلا إذا كنا أغنياء ويحتقرونا إلى درجة الإهانة والتجريح إذا كنا فقراء.. إلى المجتمع ككل الذى لا مجال فيه للرحمة وقد أخذ يبيع كل ممتلكاته من أجل أن يأكل، إلى العالم الذى سلبنا أموالنا وأرضنا بالقانون؟!...! بنيتى اننى أحتقر كل ما ذكرت ولم أعد أحترم إلا المال.. الدولار هو سيد العصر هو الذى انحنى له كل الرؤوس.. لقد طحننى الفقر والحرمان.. نيفين اننى امرأة كانت أحلامى أن أكون زوجة مطيعة. والله العظيم مطيعة.. وأن أكوّن أسرة وأعلمها رغم تعليمى البسيط جداً.. كانت أحلامى أن أكون ربة أسرة طبيعية محترمة مخلصه ولكن والدك سقانى الذل ورمانى دون أدنى حقوقى الشرعية.. أهان أنوثتى.. تركنى فى مهدي هذا وحيدة عشرة سنوات هل تعلمين مدى المعاناة التى عانيتها وأنا أتضور حرماناً، ليس هو الجنس يا حبيبتى ولكن الجنس فى جوهره هو العطف والحب لقد حرمنى أبوك من ارتواء انوثتى ورمانى إلى حجرتى تلك وحيدة أعانى الوحدة والحرمان والرغبة بل لم يرد طلاقى وأصبحت كريشة فى الهواء بلا طموح أو حب أو مستقبل.. وكل من حولى على اختلاف

ألوانهم وأشكالهم ومناصبهم تركوني وحيدة حتى القانون المزعوم لم يعطني حريتي لأبدأ حياة أنثوية جديدة مع رجل يحبني وأحبه.. القانون رفض دعوى الطلاق والمجتمع المزعوم أذلني ورفض أن يعطني حقي في الحياة حياة شريفة نقية حتى من كانوا يساعدونا كانوا يمنون علينا.. أين الرحمة في هذا العالم؟ لا يوجد إلا القسوة والظلم والوحدة والحرمان والساحر الجديد.. الدولار صدقيني يا ابنتي أنا لا أريد هذه الحياة ولكنها الطريق الوحيد لتحقيق ذاتي ومعنى ناريمان في هذا المجتمع.. هل تعلمين ماذا يعني أن يكون معك ثلاثة آلاف دولار؟ هذا يعني أنني سأستطيع أن أرفع دعوى خلع وأكسبها وأرمي إلى أبيك الحقيير كل مستحقاته وأفوز بحريتي.. يا نيفين إن الطريق يناديني وقد آن الأوان أن أكون ثرية.. إن هذا الفيلم الذي تتحدثين عنه كأنه عار هو مجرد بداية لما قد تسميه الدعارة أو البغاء ولكنني أسمىه ممارسة دور في المجتمع تقبل ما هو أبشع من البغاء إنه التنازل عن أرضه وشرفه وكبرياءه وأبسط حقوقه في ماله وتقرير مصيره وممتلكاته.. نيفين لن أكون أول داعرة أو أول متنازلة فقد سبقني ملايين الملايين لا في مصر

فقط ولا في بلاد العرب فقط بل في كل الدنيا..

- ماما إن هذا الفيلم سيعرض في كل مكان وستكون فضيحتنا رهيبية.
وتضحك الأم مرة أخرى ضحكتها الرقيقة الساخرة: نيفين أنا
أريد لهذا الفيلم أن يكون حديث الساعة لا مجرد أن يراه من
يحب أن يرى أفلام الجنس..

ولنكن صرحاء ما هو الفارق بين ممارسة الجنس في حجرتي
هذه مع ياسر وممارسة الجنس معه في حجرته الحمراء وبين
ممارستها أمام الكاميرا؟! الجوهر واحد والفرق الوحيد بين السر
والعلن هو الحياء وقد سقط الحياء منذ زمن طويل في حياتنا.
- ماما.. أنت تهدمين كل شيء.

- أنا لا أهدم شيئاً؟ أنا أحاول أن أعيش بين ما هو فعلاً متهدم
وأطلال.. إن الشيء الوحيد الحيّ في حياتي هو ياسر وكل ما دون
ذلك موت وحرمان.
- أنا لا أعرف ماذا أقول لك.

- أنا التي أريد أن أقول لك أن الفرصة لاحت أمامك لتكسبي عشرة
آلاف جنية في ساعتين وربما أكثر في مقابل ورقة لم تعد البنات تحفل بها

كثيراً والأهم من ذلك أنها بخبرتك وتجاربك لم تعد تعنى شيئاً.

- أنت مصممة؟

- أشد التصميم.. ومعى ناريمان.. والليلة سأقابل مستر جورج

لأضع اللمسات الأخيرة على كل شىء بينما ناريمان ستكون فى مذاكرتها الليلة.

لمحت الأم الدموع فى عيني نيفين وهذا دليل اليأس فقررت

إنهاء هذا الموقف الغريب فقالت فى هدوء:

تستطيعين الآن الانصراف.. لقد انتهى الأمر.

لم تجد نيفين كلمات أمام هذا الانهيار المتفلسف فانسحبت

باكية لا تعلم هى هى المجرمة الحقيقية أم هى مجرد شاهدة على

انهيار عالمها هذا الانهيار المبين.. كان الشعور بالذنب يسحقها فلم

تسامح نفسها أبداً على حياة الاثم الماضية والتي استفاقت منها

منذ ساعات فقط ولن تسامح نفسها لأنها هى التى أدخلت ياسر

إلى أسرتها فكان هذا الانهيار الرهيب.. راحت تتساءل.. فيلم جنسى

؟ (موش ممكن) ذهبت إلى عزة فى حجرتها فقد قررت من اللحظة

أن تفارق ناريمان.. ذهبت إليها ربما لتلمس فى عينيها الطهارة

وربما لتحافظ عليها في مثل هذا المحيط المندس.
وربما لتلمس عندها الراحة والهدوء.. التقت عيناها بعزة
التي كانت تقرأ في كتبها الرقيقة الدقيقة وقد أمسكت بيمينها
ساندوتش فول تلتهمه في دقة.

ابتسمتا وجلست عن قربها في هدوء..
مرق ياسر بالطريق إلى الجناح الفخم في أفخر فنادق القاهرة
المطلّة على النيل والذي يقيم به مستر جورج كان الموعد لتحديد
بعض النقاط ويخبر مستر جورج أن نيفين قد اعتذرت عن الفيلم.
استقبله مستر جورج استقبال حافل كاستقبال الأبطال ودعاه
إلى الخمر فلبى مسرعاً مميناً نفسه بأجود أنواع الخمور.. كان
مستر جورج يتقن العربية لهذا لم يجد ياسر أى مشكلة في التفاهم
أكد مستر جورج أن أجر ياسر سيكون أربعة آلاف دولار عن الفيلم
الواحد وقد وافق مستر جورج أن يكون التصوير ببيت ياسر الواسع
في شارع القصر العيني وبالتحديد في حجرته الحمراء بعد أن تزدان
بما اقترحه مستر جورج من زخارف وخلفيات فرعونية ثم اقترح
ياسر أن يكون التصوير بعد أربعة أيام وهو ما يوافق الحصول

على أجازته من عمله بمناسبة رأس السنة الهجرية. وقد وافق مستر جورج على هذا التوقيت بل شرح له ياسر بعض التفاصيل عن احتفال المسلمين بهذا اليوم وبعض ما تذكره عن هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة وقد فوجئ ياسر بأن مستر جورج لديه الكثير من المعلومات عن هذا الحدث الفاصل في التاريخ الإسلامي. اتصل ياسر بنور بالمحمول يدعوها إلى رؤية مستر جورج لتضع معه اللمسات الأخيرة وتسمع منه كل ما تريد أن تسمعه على أرض الواقع وما هي إلا ساعة من الزمن إلا وجاءت نور تتهادى في أجمل زى لها.. تصعد إلى الجناح الفاخر وقد اعتصرها الألم لكل ما مضى من حياتها في بيتها الدميم.. انسحب ياسر بناء على طلب مستر جورج.. جلسا تواجهها.. كانت هذه أول مرة تواجه نور بها أجنبياً.. كانت تراهم عبر التلفاز فقط ولكنها أيقنت أن الواقع يختلف عن أشياء كثيرة في التلفاز.. تفحصته جيداً من باب الفضول.. شعر أصفر قد بدأ المشيب يغوص به.. عينان زرقاوان لامعتان غائرتان ضيقتان يشع منهما المكر والذكاء جسد ضخم فولاذي.. أنامل خطافية.. ملامح تشع ثقة واطمئنان..

شفتان لا تفارقهما الابتسامة التي تتحول من حالة إلى حالة حسب الحوار.. أما هو فهذه أول مرة يجلس فيها إلى امرأة عادية من نساء الشرق إنه له خبرة كبيرة كسينمائي بمناطق كثيرة من العالم وله مغامراته البريئة والجنسية بكل مكان في العالم وقد ضاع أثناء رحلته الإنتاجية الكثيرات من نساء العرب والعالم.. منهن الصحفيات والفنانات والعاهرات والراقصات. ابتسم في هدوء وهو يتذكر كيف ضاع على سبيل التجربة.. رجل عربي ودون مقابل.. هو لا يعرف لماذا تدفقت كل هذه الذكريات إليه عندما جلس أمام نور.. راحت عيناه تعبت بها ولكن دون أن تدري فقد كان كبرياؤه يمنعه من أن يلهث بعينه خلفها من أول وهلة خاصة أنه أدرك أنه قد بهرها بمجرد النظر فقد قرأ هذا الانبهار في عينيها.. عينا سوداوين لامعتان تشعان سخونة ودفء ملامح على جمالها المتوسط ولكنها تفيض بالأنوثة خاصة الشفتين المجرمتين والبشرة الخمرية. جسد على الرغم من بداية الترهل الناشب به إنما يحمل آثار الجمال والتناسق والرشاقة المستغيثة بالماضي من الحاضر.. أنامل طويلة رقيقة تعكس الأنوثة ساقان منحوتتان بدقة تصرخان

بالجمال وتتمان عن كل ما يعلوهما من بضاعة ونضج.. اشتعلت رغبته لا لأنه كان سريع الاثارة كعاداته ولكنه لأول مرة ومنذ فترة طويلة يشعر بأنوثه امرأة.. تتم في نفسه.. هذا هو سحر الشرق.. الدفاع.. الأنوثة.. الثورة المنغمدة في أوردة وشرابين البشر.. وعندما جالت بخاطره كلمة الثورة.. سيطر عليه شعور عميق بأن يثير هذه الأنوثة المائلة أمامه بل ويغضبها اشتاق كثيراً لرؤية هذا الغضب في امرأة شرقية (عارية) رحب بها ودعاها إلى خمرة الذي يشربه كاماء فوافقت رغم أنها لا تشرب ثم دعاها إلى سيجارة فدخنت في شراهة وبدأ يشرح لها المطلوب في بساطة ويؤكد لها أن الفيلم سيكون تصويره هادئاً للترتيب الدقيق الذي رتبته مع ياسر وعندما بدأ الحوار يدور في اتجاهين وبدأ الانسجام يسرى ألقى بالقنبلة:

عزيزتي يؤسفني أن أقول لك أن أجرك سيكون ألفين فقط من الدولارات.

وهنا عربدت ملامحها وأطفأت السيجارة في غضب وأبعدت الكأس في حنق وردت في ثورة:

لا.. لا وألف لا.. أنت وعدتنا بثلاثة آلاف دولار وهذا هو ما

جعلنا نوافق على فكرة الفيلم من الأصل.. أنت الآن تحنث بوعدك.
علم من ثورتها التي كظمت معظمها أن الحزن يسحقها
خاصة أنه علم من يأسر أسرار حياتها وأن الفقر يطحنها وأنها تعاني
الوحدة والحرمان حتى ضاجعها يأسر فضغط أكثر على احتياجها.
- تستطيعين الاعتذار.. هناك أسر كثيرة على أتم استعداد
لتمثيل الفيلم.

- ولكن هذا ظلم.. إن هذا الإنتاج وهو باكورة الإنتاج وسيكون
لأفلامك دويّ كبير لأن ممثليها من المصريين الطبيعيين العاديين
الصادقين في تعبيرهم وإحساسهم ورغباتهم.

- أبطالي من كل بلاد العالم وفي كثير من بلاد العرب
- ولكن هذا أول فيلم جنسى مصرى عربى وأنت ستبيعه بآلاف
الدولارات بل بملايين الدولارات في بلاد العرب وفي أوروبا بل في العالم كله.
- عزيزتى إن المسألة ليست كذلك.. الجوهر أن تقديري
لقدراتك لا تزيد عن المبلغ الذى ذكرته لك.

- قدراتي؟! وما أدراك بقدراتي؟!
- قدراتك هى ما أراه أمامى.. جسدك.. لون بشرتك.. وقدراتك

هى ما قاله لى ياسر عن علاقتك به وأسراها عندى أنت لا تجيدين
فن الجنس مثل ابنتيك وهنا ردت نور كل ما ستقوله لى سأنفذه
فأنا وإن لم أكن قد شاهدت أفلاماً جنسية بالفعل ولكن بي ما
ليس بابنتي.

- ما هو؟

- الأنوثة.. فأنا أعرف نفسى مثيرة حتى لو لم أكن جميلة جداً
وبشرتى الخمرية يتهافت عليها من يفهم فى النساء وليس العكس
ثم أن هناك شيئاً آخر فى جهلى بفنون الجنس هو أن ردود أفعالى..
ستكون طبيعية غير مفتعلة وفى هذا قمة الإثارة.

وهنا ضحك مستر جورج من أعماقه ثم صمت لحظات وقال
فى لهجة ذكورية:

- أنت تبهرينى.. دفاعك عن نفسك كان دفاع أعظم القانونيين..
سيدتى إن أجرك أنت سيكون أكثر من أجر ابنتك ناريمان بخمسمائة
دولار أى سيكون ثلاثة آلاف وخمسمائة دولار ولكن عدينى من
الآن أن تكونى بهذا الدفء الخطير.

وكأن الدماء قد عادت إلى ثناياها.. فتهللت ملامحها وأرخت

ظهرها إلى المقعد الوثير وقالت في ثقة: سترى.
انتهز مستر جورج الفرصة ليسألها عن نيفين التي رفضت
التمثيل في الفيلم فلم تعلق على ذلك واكتفت بأن تقول: إنها حرة.
كانت الرغبة قد تملكك من مستر جورج إلى درجة الجنون فقد
صدق بالفعل أن نور قوتها في أنوثتها الطاغية فقرر أن يضاجعها
فبدأ يراودها عن نفسها وهو يعلم أن كل شيء قد صار بثمنه وأن
المسألة هي كم ستقبل نور في مقابل أن ترضخ لرغبته...
في البداية أعاد الكرة إلى الخمر فازدردت نور عدة كؤوس
وعندما شعر أنها بدأت تشمل بدأ يغازلها: عزيزتي نور.. لم أكن أعلم
أنك بهذا الحضور الطاغى والأنوثة المتدفقة.
لقد قابلت الكثيرات وعلى جميع المستويات وأكثرهن شهيرات
ولكن لم أجد من هي في مثل دفء مشاعرك..
- أشكرك.
- كان يجب أن تعملى بالتمثيل منذ نعومة أظافرك كنت
ستكونين نجمة كبرى في الشرق.
- الفقر والجهل والحط العثر.

- الخط أتي إليك يا نور.. أنا الحظ.. سأفتح أمامك كل الأبواب.
- هل هذا صحيح؟
- كل المطلوب منك أن تكوني على طبيعتك هذه.. التي فتننتي.
- هل أثرت بك إلى هذا الحد؟
- إلى درجة الجنون
- هذا ما يجعلني أثق بنفسى.
- نور.. الليلة جميلة تعالى نتمتع بها.
- ماذا تقصد بنتمتع؟
- أقصد أن نتعري.. نتخلص من ملابسنا.. ونرقى في أحضان بعضنا البعض.
- تقصد المضاجعة؟
- نعم..
- لقد تعلمت لتوى منك لغة المكسب والخسارة.. فكم ستدفع.
- وهنا ابتسم جورج فقد صدق حدسه وما هى إلا دقائق إلا وهو يغرس رغبته في هذه الفتنة الشرقية المثيرة..
- وتفاوضا وانتهى التفاوض إلى ثلاثمائة دولار في مقابل جزء من

هذه الأمسية الهادئة وقد طمأنها إلى أن الأمر لن يأخذ أكثر من ساعة..
أخرج من جيبه ورقاته الثلاثة فتطلعت على الفور عيناها إلى الورقات
الثلاثة الخضراء.. أحب أن يداعبها فقال لها: أتجيدين الإنجليزية.

- لا.

- أتعلمين ما هو المكتوب على ورقة الدولار الخضراء؟

- لا.

- نظر إليها ملياً وقال في هدوء: مكتوب على الورقة الخضراء
نحن نؤمن بالله.

- كلام جميل.. نحن أيضاً نؤمن بالله.

تعمد أن ينال منها.. ككل رجل.. فتظاهر أن أوراقه الثلاثة قد
سقطن من يمينه على الأرض فما كان منها إلا ما توقعه فقد هوت
على ركبتيها تلم الأوراق ناهمة..

بدأ في التجهيز للأمسية فطلب مأكولات بحرية من مطبخ
الفندق وبسرعة وأثناء ذلك تجاذبا أطراف الحديث والسجائر
والخمر، وعندما جاء عامل الفندق كانت شهيتها قد وصلت إلى
الذروة فاشتته وجاعت.. أكلت بنهم شديد واكتفى هو بأن يأكل

القليل لأنه لم يكن جائعاً بل أحضر الطعام لها حتى تعطيه وهى شابعة ما يريده واستمتع بمراقبتها أثناء الأكل.. بعد دقائق من انتهاء الطعام كان قد أطلق ضوءاً شاعرياً في الجناح وبدأ يشاهدها وهى تخلع ملابسها قطعة قطعة وعندما رآها عارية سحقتها في المهد كأنه يريد أن يستخرج منها الألم وتعجبت لماذا يعاملها بهذه القسوة؟! وبعد ساعة كان كل شيء قد انتهى فتركها تغتسل بالحمام وراح يسرح بخياله في شيء آخر.. اعترف بأنه استمتع استمتع عظيم فهذه المرأة العادية من الشرق أعطته ما لم تعطه كل النساء اللاتي ضاجعهن طوال حياته فسرح بخياله إلى نيفين وتساءل كيف ستكون العذراء ذات الخبرة العالية في مهدى؟! بل كيف ستكون عزة؟ قرر أن يضاجع نيفين كمرحلة أولى وكل شيء يخضع بالمال.. بعد أن ارتدت ثيابها بدأ يجاهدها في أمر نيفين وراح يقنعها بانه لو كلمها بصفة شخصية ستوافق على التمثيل بالفيلم فوافقت نور على ذلك واتصلت بنيفين تخبرها بأن مستر جورج يريد أن يقابلها لأمر تجهله وأنه قادم إليها في البيت وعليها أن تستقبله..

رهبت نيفين هذا اللقاء وهبت عاصفة النساء في ذهنها ماذا

وكيف ومتى إلى آخر الأسئلة.. رفضت أن تستقبله في غرفتها مع ناريمان أو في غرفة أمها وأصرت أن تقابله في غرفة عزة بعد أن تأخذها الأم إلى أي مكان آخر.

أخبرت ناريمان جورج أن نيفين تنتظره بالداخل فاتجه إليها وقد دار بعينيه في لحظات بأرجاء البيت الشديد التواضع فأيقن أن الثلاثمائة دولار كثيرة في ساعة من المتعة.. ولج إلى الغرفة وأحكم غلق الباب.. جلست نرمين على سرير عزة وهي متحفزة أمام هذا المنتج الذي أغدق على أمها وأختها الدولارات فهويا إلى الحضيض كان الهدف المعلن الذي جاء من اجله إلى البيت هو إقناع نيفين بالاشتراك في الفيلم ولكنه هدفه الخفى كان النفاذ إليها قبل أي شيء آخر.. الحجرة كانت صغيرة.. شديدة الدقة.. شديدة الدقة.. بها مكتب متوسط الحجم بنى اللون خشبي النوع يلثمه مفرش أبيض وعلى المفرش أباجورة ساطعة وثلاثة رصات من الكتب ومجموعة أقلام لها ألوان مختلفة وفي قلب المكتب تبين كُتيب صغير له ورق أصفر به كلام صغير يناسب حجمه وقد فتح على مصرعيه لم يعرف ما هذا الكتاب ولم يهتم بأن يطيل النظر إليه.. الحجرة لها شبك

واحد تداريه ستارة زرقاء نصف شفافة.. ومهد رقيق به وسادة واحدة وقد اكتسى بغطاء أبيض..

ودولاب صغير الحجم محكم الغلق فلم يتبين ما خلفه من ثياب الحجره. أيضاً لها كرسيان أولهما خلف المكتب والثاني أمامه وتحتهما سجادة من نوع رديء.. دار ببصره حول كل هذا وكأنه يتعرف على شخصيتها من هذا الأثاث المتواضع.. جلس على الكرسي الماكث أمام المكتب في هدوء وقد أخذ يتفحصها بدقة.. عينان سوداوان يشعان وجوم وقلق واضطراب شعر ناعم قصير.. ملامح رقيقة جداً تغرى بالاعتيال وتثير خيال الرجال.. نهد كأنه قد قد لقبضته لم تفلح محاولات يأسر معه في جعله من الهمجية في شيء.. خصر رائع.. ساقان ثوريان يتمنى أمثال جورج لو يقصيهما عن بعضهما البعض... لون بشرة غريب مزيج من ألوان شتى ولكنه لذيذ شهى.. لم ترهقه الساعة التي أمضاها مع نور بل ألهمته المزيد من الشهوة وتلاقت هذه الساعة بتأثيرها على هذه المفاتن الكامنة في نيفين رغم أن أنوثتها ليست في أنوثة أمها.. كانت خطته أن يكسب ودها في بداية الأمر ليزيح هذه النظرة المتحفزة بعينيهما

فأثنى عليها بأدب شديد.

وبدأ يسألها عن سبب اعتراضها عن الاشتراك في الفيلم فراحت
تملى عليه اعتراضات شتى وتقرره أنها كفتاه شرقية لا يمكن أن تقبل
بشيء كهذا.. وهنا بدأ ينفذ إليها:

نيفين... صغيرتي الجميلة واسمحي لي أن أقول لك جميلة لأنك
فعالاً جميلة.. أنت لن تفعل شيئا لم تفعلين من قبل.. لقد كنت
تمارسين الحب مع ياسر وكل ما في الأمر هو الكاميرا.

ومرة أخرى تصر على الرفض وتقول له: إن ما سبق في حياتها
كان عاراً وأنها لن تكرر هذا العار.

فتساءل: أي عار؟

رفضت التعليق على ذلك وقالت: دعنا لا نتكلم عن هذا الأمر
مرة أخرى..

غاظه عنادها ولكنه كظم غيظه فقرر أن ينفذ إلى موضوعه مباشرة.
نيفين.. دعك الآن من الفيلم ليذهب إلى الجحيم.. أننى أعرض
عليك صداقتي..

- وماذا تعنى صداقتك تلك؟

- صداقة تماماً كالتى كانت بينك وبين ياسر.
- لم تصدق نفسها مَنْ هذا الذى يقتحم بيتها ويعرض عليها أن يضاجعها هل لأنه يملك الدولارات؟
- آملها أكثر هذا الماضى الذى أصبح يطاردها بل يحولها إلى ساقطة من مهد إلى مهد ومع كل الجنسيات.. ردت فى حزم:
- الذى كان بينى وبين ياسر حب ولم يكن صداقة.
- إذن ليكن بيننا حب.
- ماذا تقصد؟
- أنت تعلمين قصدى.. أنا أريدك.
- تريد أن تنام معى؟!!
- أريد أن أحبك وتحبينى.
- أن ما مضى من حياتى كان عاراً ولن يتكرر.
- سأعطى ما تريدين من دولارات.
- كنوز الدنيا لا تساوى شيئاً أمام شرفى.
- نيفين... حبيبتى الصغيرة.. وكأنك لم تمارسى الحب ست سنوات كاملة مع ياسر وكأنك لم تشاهدى عشرات الأفلام الجنسية وكأنك

لم تتقلبي عل كل الأوضاع والأشكال مع عشيقك؟! أنا مذهول هل
يمكن لك أن تقبلي ياسر وترفضيني أنا.. أنا.

- قلت لك أن ما كان ما الماضي هو العار وأنا الآن أعود إلى رشدى.

-حتى لو قلت لك أننى لن أمس البكارة.

- أنا أرفضك.. لا كعاشق ولهان بل أرفضك ضعيفاً من الأصل

- ترفضينى.. أنا.. أنا

- ومن أنت حتى تكون أكبر من الرفض.

- نيفين أنت تتمسكين بأشياء انتهت، البكارة انتهت العالم

تحول إلى قرية صغيرة يحكمها رأس المال.. أتفهمين رأس المال؟!!

أنا على ثقة أنك لا تفهمين هذه الكلمة ولا تفهمين معنى كلمة

قرية صغيرة الكترونية اتصالية ولا تفهمين المعنى الحقيقى لكلمة

بورصة.. نيفين كل شيء تحول إلى أسهم وكل حياتنا تحولت إلى

متعة (فاين).

- ما علاقة القرية الصغيرة المزعومة ورأس المال والبورصة بفتاة

ما تزال تحافظ على القليل الذى تبقى من شرفها والكثير الذى بدأ

يعود إليها من كرامتها؟

- أطلق زفرة أسي ولكنه لم ييأس.
- نيفين معى ستكونين ثرية.. معى ستصلين إلى القمة.
- في بلدك ومجتمعك وربما العالم.
- أنا أكرهك.. أسمعت هذه الكلمة؟
- ولكنى أحبك.. أعشق كل شيء بك حتى غضبك الشرقى
- التلقائى الجميل.. الشرقيون يغضبون سريعاً ويفرحون سريعاً.
- هل تريد شيئاً آخر؟
- نعم
- ما هو؟
- الصداقة.
- مرة أخرى الصداقة.
- هذه المرة بدون مضاجعها أنا أحترم الحرية.. نيفين حبيبتي
- الصغيرة.. أريدك صديقة من الشرق.. أريد محادثتك ولا أريد
- جسدك إلا إذا رضيت أنت عن طيب خاطر ولكن لتعلمى أننى
- دائماً فى انتظار اللحظة التى تطليبنى فيها على المحمول لتقول لى
- أننى أريدك.. أريد أن أنام معك.

- لن تأتى هذه اللحظة.
- أنت لا تعلمين ماذا سيحدث غداً.. بالمناسبة أود أن استشيرك..
- بصفتك صديقتى الشرقية فى أمر ما.
- ما هو؟
- عزة
- وهنا جن جنونها.
- إياك أن تمس عزة.
- عزة ستكون ساحرة على الشاشة وهى تمارس الجنس.
- لو مسست عزة سأتصل بالشرطة وأدمر كل شىء.
- وهنا ضحك مليا وقال فى لهجة واثقة: نيفين حبيبتى الصغيرة..
- كل شرطة العالم وأجهزة مخابراتها بل وجيوش العالم كله لا أقول
- تحت حدائنا بل تحت أقل كعب من كعوب حدائنا.. صغيرتى أنت
- لا تعلمين ماذا يدور حولك فى العالم لا تعلمين كيف ارتقى العالم..
- نيفين نحن الآن نعد لإخضاع الفضاء لا الأرض. أين أنت وشرطتك من
- هذا النفوذ؟ أنا أعذرک لأنك صغيرة وحبوبة أمورة لطيفة وشرسة.
- أسقط فى يدها لم تعرف كيف ترد ولكنها ووسط كل هذا

الانهيار كانت قد تلمست شيئاً من القوة قد أتاها من الاحتكاك فقد كان جورج بالنسبة إليها مجهولاً ولكنه الآن على قوته التي لا تعرف عنها إلا أنها عظيمة قد أصبح كتاباً مفتوحاً أمامها وقد أسعدها في صميم قلبها أنها رغم جرحها العميق في ياسر وأمها قد رفضته وصمدت أمامه.. جورج لم يكتف بذلك فقد ابتسم لها وقال في هدوء: أود أن أوثق صداقتنا يا نيفين هذه الصداقة البريئة لها هدية بريئة منى.

خلع ساعته القيمة الرقمية من معصمه ومد يده بها إليها.
- تفضلي.

قالها وهو ينظر إليها نظرة غريبة لم تفهمها.. مدت يدها إلى ساعته والتقطتها.. نظرت إليها ملياً فأدركت أنها على درجة عالية من الإمكانيات ساعتها هتف:

- هي لك.. عربون صداقة بريئة.. كل ما أطلبه منك أن تكوني موجودة ليلة تصوير الفيلم في بيت ياسر بعد أربعة أيام. فهل هذا كثير؟
- ولماذا تريدني هناك؟

- هذا هو طلبى الأول منك ولا يجب أن ترفضيه.
ووافقت بينما كان ذهنها مشغول بمعنى هذه الهدية.

* * *

ليلة التصوير كان كل شيء معداً.. الطبيب بحقنة موضعية لياسر وأربعة أقراص من عقار شهير ازدردهم ياسر دفعة واحدة وهو يعد جورج بأداء عظيم الذى أمره بأن يفعل كل ما بوسعه من أجل الأداء.. مهندس الديكور الذى وضع لمساته الفرعونية على الحجرة فبدت كأنها معبد فرعونى عتيق.. المصوران وقد أعد كامرتيهما جيداً وعمروها بالشرائط.. وأخيراً الأبطال ياسر ونور ونريمان ونيفين صامته تشاهد كل ذلك فى رهبة وذهول.. المائدة عليها ما لذ وطاب من المأكولات البحرية والمشويات والمقبلات من كل الأنواع والأشكال..

وفى قلبها أجود أنواع الخمور وأعتقها.. أكل الأبطال وشربوا قليلاً من الخمر وجورج يوزع ابتسامته على الجميع ودخلوا إلى الحجرة الحمراء التى تحولت إلى معبد فرعونى ودارت رحى الفيلم وجورج

من بعيد يوجه الجميع ويدلى بتعليماته التي تصب كلها على إبداء الانفعال المناسب للحركة.. وبعد ساعتين كاملتين وبعد أن أوشك تصوير الفيلم على الانتهاء حدثت المفاجأة فقد سقط ياسر عارياً مجهداً يعاني من هبوط حاد وما هي إلا دقائق وقد أسلم الروح. ساد الهرج والمرج، وبالأمم كتمتا.. نور وناريمان.. انفعالهما وأمر الجميع بالخروج من الشقة في هدوء ومعهم الفيلم ودون ضجة.. أصرت نيفين على البقاء.. وللمرة الألف أخذتها المفاجأة.. كان كل شيء ماثلاً أمامها كالحلم.. مائدة الطاعم المعبد الفرعوني.. رائحة السجائر.. العرى الذي كان منذ دقائق... هذه المشاهد المتتابعة بلا رحمة ومن قبلها هذه الأقراص العديدة التي ازدردتها ياسر من أجل أن يثبت نفسه كبطل في أول الأفلام المزعم انتاجها وأخيراً جثة ياسر عارياً وقد جحظت عيناه وفغر فاه في مشهد مرعب محزن.. هل هذا هو الطاووس؟ هل هذا هو حبيها؟ كانت لا تزال تحبه فهي لن تستطيع التخلص من حب دام ست سنوات في أربعة أيام.. بكت.. بكت حبها وذكرياتها وذلك المصير الأسود الذي لم

تكن تتمناه لحبيبيها.. حبيبيها الذى قسى عليها واغتال عائلتها.. ماذا تفعل الآن وهى فى مواجهة الموت؟ الموت.. كلمة لم تسمعها منذ نعومة أظافرها ولم تواجهها إلا الآن.. صدمها الموت. أجهز على مابقى من الأثم بداخلها وخلق منها شخصية جديدة تمقت الماضى أكثر وتتطلع إلى المستقبل أكثر.. لقد الهمها موت الطاووس أنهاهى أيضاً ستموت لأنها ببساطة لا تتخيل أن يموت ياسر القوى الفتى الذى يتفجر بالشباب والحيوية ياسر الذى ملأ حياتها وحيوة كثيرات من النساء.. إنه الموت الذى لا يترك أحداً وبالتالى لن يتركها.. إنه الموت الذى لم يقل لها عنه أحداً خبراً ولكنه الموت الذى تراه ماثلاً أمامها مادياً ليقضى على ماضى تعيش يعصف بشرفها ولكنها تعلمت منه الكثير.. جاهدت دموعها واتصلت بالإسعاف تبلغه أن ثمة حالة وفاة وأعطتهم العنوان ثم انصرفت تاركة الجثة والدولارات التى تعرف مكانها فى الدولاب الوحيد الكبير فى الحجرة الحمراء فى الشارع كانت كأنها تريد الناس.. تريد أن تراهم ترقمى فى أحضانهم ترتشف من صبرهم تتمسك بالصبر المتشبث بملامحهم.. كانت

تود احتضان الجميع تقبيل الجميع.. شخصت بصرها إلى السماء وبكت فإنها تريد التوبة ولا تعلم هل سيقبل الله توبتها أم لا.. شعرت أن كل ما حولها كان يلهمها ألا تبدأ فقط حياة جديدة بل يجب عليها أن تنقذ ما يمكنها انقاذها عزة.. لقد فقدت الأمل في أمها وناريمان واختارتا طريقاً وعرة ولكن عزة لا يمكن لها أن تتركها نهياً لأمها وأختها.. لابد أن تحميها وكأنها بذلك تكفر عن ذنبها مع ناريمان، قررت أن تجر عزة إلى بيت أبيها معها.. قررت أن تعيش مع أبيها على ظلمه لأنها من المستحيل أن تعيش في بيت دعاة مع أمها وأختها.. وبالفعل عندما عادت إلى البيت ملمت كل ما يخصها وما يخص عزة في حقيبتها وجرت أختها المذهولة إلى الطريق إلى بيت أبيها ولم تعترض الأم أو ناريمان بل باركتنا هذا العمل حتى لا يسمعان لآخر تأنيب لما سيفعلاه وعندما خرجت نيفين من البيت استسلما إلى نوم عميق فقد كانتا متعبتين من أثر المجهود الشاق لمدة ساعتين مع ياسر.. الغريب أن كليهما لم تتأثرا كثيراً بموت ياسر بل لم يخزنا من أجل وفاته بهذه الطريقة الدرامية.. أما نيفين فقد

أحكمت الساعة الثمينة على معصم عزة التي لا تزال مذهولة..
أحكمت الساعة الرقمية على معصمها وهي حائرة هل سيقبلها
أبوها وزوجته في بيته؟ ومن ناحية أخرى فهي حائرة أيضاً لأنها
حتى الآن لا تفهم معنى نظرة جورج لها وهو يهاديها الساعة
ولا تفهم معنى هذه الهدية من أصله.. نيفين تسير في الشوارع
يحدوها الأمل بحياة جديدة نيفين مازالت تسير ومعها عزة.

الصامت

اليوم ليس كأى يوم بالنسبة إليه هو يوم إعلان النتيجة الجامعية لابنيه ماجد وفريدة.. النوم ليس كالنوم.. حتى الارق ليس كالأرق.. خلد إلى سريره في منتصف الليل وبعد أن جال بخاطره بالعام السابق كله وبكل صولاته داهمه نوم خفيف لطيف فاستسلم له علّه يتجلى به بصبح يعلم فيه نتيجة ابنه فريد ابن كلية الهندسة وابنته فريدة الطيبة.. الشيء الغريب أنه ظل عدة أيام قبل يومه هذا صامت.. فقد داهمه القلق فأصابه على غير عادته بالصمت العميق ولكن ذاك الشيء الجميل المتحدث فيه كان يخبر زوجه سلمى بكل ما يعانيه من آلام وكان هذا الشيء المتحدث فيه عيناه ولم تكن تفعل إلا أن تقبل رأسه وتبتسم ابتسامة الواثقة بأن الابنين سوف يعبران آخر مرحلة من مراحل السلم التعليمي وأن ظنهما لم يخب فيهما مرة واحدة وهنا تلاقت

العيون جميعها فراح الاب يتنسم آلاء الراحة بعض الشيء.. كانت سلمى تعلم أن أيام القلق لابد أن تبدأ بالصلاة فجراً في المسجد حيث الجماعة لهذا لم تندعش عندما رأته يضبط المنبه على تمام التوقيت وفي حينها دوى المنبه وفي لمح البصر أغلقه إذ ساعده نومه الخفيف على ألا يصدر المنبه صوته إلا ثلاثة مرات.. وفي سرعة قام وهو يستعد لتقبل الانباء التي حاول جاهداً أن يطمئن نفسه إليها أنها أنباء سارة وعلى الفور دارت عيناه إلى الكومودينو بجانب سريريه واطلع على الثلاثة صورات لزوجه والابنين ولم ينطق بكلمة واحدة... ثم ابتسم كأنه يقول إن شاء الله.. قام إلى حيث الروتين اليومي له من وضوء وقد سمح له وقته بركعتين للقيام قبل الصلاة الفجرية ولكن كل ما كان يجول بخاطره هو ما هي نتيجة عمره كله اليوم؟ ما جد سيتخرج مع فريده من الجامعة وهو يوم مفصلي في حياته أعاده لا شعوريا إلى أيام الصبا والشباب وأطلق ما أحلى أيام الصبا بنفسه لنفسه فقد فجرّت المناسبة ذكرياته هو عن أيام سماها عنق الزجاجة وهكذا فقد داهمه سيل من الذكريات لم يستطع إيقافه حتى في صلاته.

انسل إلى الشارع متنعماً بنسمة ربيعية في شهر مايو فاستبشر خيراً وأخذ منها نفساً عميقاً ودارت يداه حول القميص وعنقه وكأنه يستعد ليوم طويل.. كان يسير الهوينى والطريق طويل إلى الحسين فقد أثر أن يصل في الحسين.. ابتسم فقد كان يسير في هذا الطريق منذ عقود مضت.. الطريق مفتوحة أمامه وهو يسير مع ذكرياته.. كان القميص له نفس اللون تقريباً وهو بعد صبياً يعمل في إحدى هذه المحلات وقد ابتسم وهو يمر بجانبه كان أيامها محل أقمشة ولكنه الآن عطارة كبيرة.. كان هو هو ولكنه الصبي العنيد في رسم طريق حياته وقد أصر أن يعمل في صباحه رغم أمه وأبيه فاختر له أبيه هذا الحائوت لأنه ملك لصاحبه.. هو قوى... وكان هذا أجمل شيء يعتز به وكان يحمل هذه السمة في قسّمات وجهه المصرية الخالصة التي تبدو وقد تتشابه مع قسّمات العديد من الأمصار الأخرى. الحياة بالنسبة إليه معركة صعبة رهيبة وهو منذ صعوبة أظافره أقسم بالله أن يخوضها بالقوة وأن مدى نجاحه فيها ليس بالمال ولكن دون فقد المال... وكان يردد في حينها (أنا قوى) (وسأكون قوياً عندما أكبر) وهكذا نشأ الفتى على حب الحياة

وتطويعها وهكذا امتدت وجهة نظره إلى أنه لابد أن يكون قارئاً
فاختلف إلى المكتبات ينهل من الكتب القيمة فحصل ثقافة لا بأس
بها وهكذا أصبحت القراءة صنو عمله.. وكان أول مشروع بدأ في
أعداده هو شراء مكتبة صغيرة له في نصف أجرته التي ناصف بها
أخاه ولن ينسى أن هذا المشروع كلفه ببعض الكتب جنيتها في جنيتها
وكان هذا الحدث باكورة مكتبة بها الآن ثمانمائة كتاب هي مكتبته
الآن وقد أصبحت يافعة ولن ينسى أن أباه قد جاء إليه بكاتبين
هدية الأول كان مكرراً وهو القرآن الكريم العثماني والثاني كان
كتاباً لم يستطع ابن العاشرة أن يقرأ عنوانه وكان (هملت) وساعتها
قال له أبوه (هذا هو القرآن وهو كلام الله ثم أخذ يشرح فيه بعض
الآيات وهي الهدية التي لم يفارقها أبداً حتى الآن وعندما سأل
الصبى عن هملت أجابه أبوه بأنها الرواية السامقة وأنه سيجيئ
اليوم الذي سيشتريها ولهذا فهو يشتريها له من الآن وأنه سيجيئ
له اليوم الذي يفهم فيها أن سر ضعف هملت في أنه ضعيف فعلاً
ولا يريد أن يكون هملت.. فهم الصبى فيما بعد أن أبوه كان يراه
قوياً وأنه لم يرد أن يكون ضعيفاً وأنه لن يكون في مثل هملت

الضعيف.. ولعل هذين الكتابين أعز ما يملكهما من كتب حتى الآن.. وقد قرأ الصبي (هملت) وهذا ما جذبه جذباً إلى الدراما فأخذ يتابع المسرحيات ويبدلها حتى أصبح من رواد المسرح وهكذا امتد مشروعه الذي يبدأ بالعمل ليكون له امتداد أولاً المكتبة ثانياً المسرح ثالثاً السينما رابعاً التوفير وعندما كبر الصبي كان البند الرابع هاماً لديه من أجل الزواج ورغم أنه الأخ الأصغر في العائلة الصغيرة إلا أنه هو أول من تزوج فيها.

هو الآن.. بينما هو سائر إلى الحسين.. يرى صباه ويرى نفسه يدلف إلى مدرسته الابتدائية ليعرف درجاته ثم يدلف بذاكرته إلى الاعدادى لأن يسكن هذا الحى ولم يتركه منذ ولادته، منطقة الحسين وامتدادها شارع بورسعيد ومنه إلى السيدة زينب.. فى هذه عاش عمره من الابتدائى إلى الاعدادى إلى الثانوى ثم إلى كلية التجارة ولجت عيناه إلى هذه الشوارع.. هنا كان يلعب الكرة الشراب مع زملائه كان يقوم صباحاً ليصلى الفجر ويتواعد سراً مع زملائه من أجل اللعب وكان هو صاحب فكرة إقامة دورى لفصله كل عام وكان من ألمع لاعبي الكرة حتى أن الاب فكر جدياً فى أن يلحقه

بالنادى الأهلى الذى يشجعه ويستولى على اهتمامه الرياضى.. كان هنا منذ عقود يلعب الكرة ويضع حقيبة كتبه بدلاً من الحجارة لتحل محل العارضة.. كان هنا منذ عقود طفلاً وصبياً والآن يدلف مضطرب القلب إلى الحسين من أجل أولاده.. فعلاً ما أسرع الأيام.. تمر حثيثاً وفي مرورها لا تُرى ولكن فى نهايتها تُرى عند القبور ولكن هذه الدنيا الخبيثة لها محطات أبرزها الشعر الأبيض وهنا ضحك ودارت يدها إلى شعره الأبيض كأنه يقول (كبرت) كان هنا يلعب وقبل أن يلعب يعمل من أجل مشروعه الكبير الألف كتاب وتكوين وجهة نظر.. هذه هى مدرسة الابتدائى وهذه هى حارته التى كان يقلبها رأساً على عقب من أجل الكرة وهو لا يزال يتذكر أنه أحرز الدورى ثلاثة مرات فى مدرسته الابتدائى.. كان هنا وهو يهرول جزعاً من أجل نتيجة الابتدائية وقد أصاب بها أكثر من ثمانين بالمائة من الدرجات ورغم أنه مجموع لا ينتمى إلى الامتياز ولكنه كان راضياً عنه لأنه من أوائل المدرسة.. وكان هنا عندما كبر ودخل إلى المدرسة الإعدادية وانتهى إلى الفريق الرياضى للمدرسة ثم إلى أوائل الفصول.. كان هنا.. كان هنا.. كان هنا.. دار عمره كله وهو

ويذهب إلى صلاة الفجر.. فتلخصت في هذه الخطوات العديدة.. لن ينسى أبداً مهما عاش هذه المرحلة الإعدادية في حياته لأنها مرحلة البلوغ إذ أنه بلغ دون أن يعلم وكم كانت صدمته قاسية عندما أدرك من الحياة ما أدرك.. فقد أدرك جانباً هاماً من جوانب حياة الرجل والمرأة ولم يصدق أن مثل هذا يمكن أن يحدث بل أنه جاء إلى هذه الدنيا عبر هذه العلاقة الجنسية المشروعة. وقد أخذ منه ذلك عاماً كاملاً حتى يتأقلم مع الفكرة.. كان طاهراً.. ولعل هذه الحادثة حادثة البلوغ وما وراءها من تصور العلاقة بين الرجل والمرأة أخذته إلى استكشافها فراح يجرب الحب وظل يحب لمدة شهر ابنة الجيران ولكنه أدرك في النهاية أن هذا ليس أوان الحب لأن الحب لا بد أن يكون بين الكبار وأن ما حدث له كان رغبة.. وهكذا فقد أدرك الفارق بين الحب والجنس ومن هذا المنطلق ترك هملت مؤقتاً ليذهب إلى القرآن ووجد فيه راحته.. وهكذا انتهت الأزمة.. أزمة البلوغ والحب.. بأن عبر الجسد من الطهارة الفتيانية إلى طهارة بداية الشباب وأصبح أكثر قبولاً لفكرة النضج الجسدي وفكرة أن يتصل مع صعوده سلم العمر هذا الاتصال.. كان هذا

أول صراع له من الحياة.. وكان هنا أيضاً وهو يدلف بين الجوامع من أجل أن ينتصر الإسلام على إسرائيل في حرب العبور.. كان سنه صغير ولكنه كان يدق الأرض فتنصهر الأرض أسفل غضباً للهزيمة النكراء التي قال عنها الأب (أنها هزيمة سياسية وليست عسكرية) وراح الابن ليفهم هذا المفهوم وفهمه من أبيه وقد أدرك أنه لابد لمصر العظيمة من رد وأن الرد لن يتأخر..

كان هنا وهو يردد قصائد نهج البردة وبعض مقاطع من هملت، وهو يردد أكون أو لا أكون راح إلى الكتب ليقراً عن الاحتلال ويكتب في مجلات الحائط حتى التفت إليه مدرس اللغة العربية لأن الشاب قال (إن الذي أخرج الاحتلال من الدلتا بقادر على أن يخرج من سيناء) وكان هنا عندما انطلق من الأزهر جرياً إلى المذيع ليلتقطه الأب في أحضانه مع العبور.. ومع العبور كان الحب.. مع العبور كان مزيد من العمل فقد انتقل من محلات الأقمشة إلى محلات الزهور في ثانوى واستطاع أن يُحصّل كم معقول من المال وأن يبدأ بعض التجارة لحسابه الخاص.. العبور أعطاه كبرياءه المفقود.. العبور أعطاه القدرة على أن يحب.. ووجدها..

زوجة في مثل سنه.. وتلاقت العيون والقسمات والحيوات.. تعاهدوا على أن يكونا لبعضهما البعض بالعيون.. تعاهدا على أن تنتظره.. وعرف بيتها وكان يمر في مواعيد منتظمة دون أن ينبس بكلمة وتعهد أن يزوج بكلمات إليها وهي تمر بجانبه مفادها أنه لم يختار غيرها وردت هي بابتسامة خاجلة.. تلاقت العيون وامتدت مع مشاهد العبور إلى الجامعة.. وكان ذلك الصراع الثالث في حياته.. الجامعة كانت المرحلة الأخيرة وكان فيها صميم الشباب وبداية الرجولة كان يعلم أن الجامعة هي بوتقة الانتصار لكل ما سبق من حياته وقد ساعده عمله في الزهور على بعض التريح ولكن الأب صمم على التفرغ والعمل في الأجازة.. كانت الجامعة تعنى بالنسبة إليه شيئاً آخر.. النضوج.. ذاك النضوج.. ذاك النضوج الذي حاول أن ينميه في أبنائه ولكن الجامعة كانت تعنى له أشياء أخرى.. كانت تعنى له اللقاء.. لابد أن يتلقى بها.. كانت معه في قسم أدبي وقد أدرك هذا من نوعية الكتب التي كانت تحملها وحمل حملة شعواء على كلية الآداب ووجدها وحاصرها وقال لها بعض الكلمات بعد على الأقل من عشرة تمهيدات وتفاهما ولكن الحب

لا يعرف الفتور وانتهى كل ما سبق من حياته إلى مشروع الارتباط واستطاع الحصول على أذن في أن يعمل بالزهور بجانب دراسته وعندما لمست فيه الجدية كانت قصة حب قوية بين سلمى وبينه وكان اللقاء الدورى الذى يكاد يكون يومياً.. وكان هنا يختلف من شارع إلى شارع من المدرسة الابتدائية إلى الإعدادية ومعهما الشوارع الضيقة للعب الكرة ومنها إلى الثانوى الذى التحم بالنضج والعبور ليلتقى بالحب لينصهر كل هذا فى التقاء الروح بالروح.. وكانت الجندية.. وكان لابد منها ليتحول الشاب المكافح إلى رجل صارم يعلم معنى الفداء والبذل ومن هذه اللحظة كانت مصر بالنسبة إليه وقد تغيرت.. كانت مصر بالنسبة إليه الروح المقدسة والنغم الجميل والعشق المدوى ولكنها الآن أصبحت محلاً للفداء وكل شىء فيه وإليه الفداء.. كان هنا وهو يتسلم عمله بالضرائب فى بداية حياته الوظيفية ليتحول أخيراً إلى الرجل المسئول وهنا هدأت نفسه وأخذ العهد الأخير بأول قبلة من سلمى بألا تكون إلا له وكانت القبلة من الرأس إلى الرأس وبعدها كانا يسيران مع الورود فى نفس هذه الطريق.. وهى نفس الطريق التى يمر بها الآن

ليتذكر كل ما سبق في يوم فاصل في حياته يوم أن يتخرج ابنه من الجامعة في يوم واحد..

كان كل قلبه يقول (يارب) وهو يدخل المسجد وقد ارتفع صوت المؤذن بالأذان.. كالعادة ذهب إلى أقصى اليمين وبدأ التركيع.. كان صوت الدعاء دون كلام فهو مازال مأخوذاً بالصمت وكان الدعاء ينصب إلى أن يدعو الله بالاسم الأعظم من أجل أن ينجح أولاده وهكذا وجد نفسه يدعو الله بالقوى فقد كان يدرك أن اسم الله العظيم القوى هو اسم الله الأعظم الذي دائماً ما يختاره ليدعو به الله في أعز الأزمات فتتحول إلى فرحات وكان لاختياره اسم القوى خلال فيه.. فهو قوى ولكنه كان يملك فلسفة في ذلك لأنه يعتقد أن الكفر بالله يبدأ بالضعف وأن إبليس الرجيم نفسه لم يتوقع نفسه أبداً رجيماً ولكنه الضعف لأن الضعف هو الذى يطرد الإنسان إلى ترك العبادة وترك العبادة سيؤدى إلى طرد الإنسان من رحمة الله فتحدث له تغيرات نفسية يدرك فيها أن الله غير موجود بعد أن تربى على أن الله موجود.. كان يملك هذا التحليل وقد قاله لكل من يعلم وكان دائماً ما يقول (أن الضعيف هو الذى لا يملك إرادة

في أن يتوضأ ويصلى ومن ثم في أن يكون في جنب الشيطان عدو للإنسان وللمجتمع..

وكان يدرك أن هناك اسما لله غير معروف هو اسم الله الأعظم وكان يقول أن كل أسماء الله أسم أعظم وكان يردد أن اسم الله الأعظم الغير معروف مشتق من سورة الفاتحة وهذا ما أجهده سنوات ولكنه لم يكن ليقول هذا على الملأ لأن هذا اجتهاد وهو ليس من رجال الدين.. المهم أنه كان يدرك أن القوة هي الأساس وأن القوة هي التي تخلق الإنسان المحترم وأن اسم الله الذي اختاره هو هو القوى لأن الله القوى وأنه يريد من الإنسان أن يكون قوياً وأن من التدبير الإلهي في خلق الإنسان أن يدفع الضعيف إلى المرض النفسي ثم الانتحار لأن الضعيف سارق وأن المجتمع لابد أن يتطهر تلقائياً بتدبير القوى دون أن يكون للحاكم تدخل في ذلك من أجل ذلك فقد أدرك لماذا ينتحر في الغرب الشباب لأنه بلا شك يترك الانجيل رغم أنه يملك المال أذن (كما قال) فالفقر والغنى بريثان من نهاية الإنسان النهاية التعيسة وأن الإنسان عليه أن يسعى ويحفر في كل الاتجاهات طريقة قوياً

لهذا فقد اختار في دعائه لله (القوي)، وعندما قامت الصلاة كان يتابع الآيات واستراح قلبه عندما تنسم قلبه كلمات سورة (طه) بنهايات آياتها وهي الألف الممدودة واستعد من أجل أن يستمتع إلى الآية الرائعة التي لا ينساها أبداً (أننى أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدنى وأقم الصلاة لذكري) وقد سمعها جميلة رقاقة فأدرك أنه لابد من النجاح بأذن القوى.. وانتهت الصلاة وهناك في ركن قصي من المسجد أخذ المصحف وأخذ يقرأ حتى الشروق آيات من الذكر الحكيم وقد بدأ ب(طه) كان يقرأ بينما قلبه متعلق بالله راجياً داعياً أن يتقبل الله دعاءه منذ سنوات بقبول حسن طامعاً في الثواب وإجابة الدعاء من قبل القوى كان ينوى القراءة إلى الشروق ولكن سورة طه انعشته وبثت قوافي الآيات فيه تقوى الله فدخلت الأنوار إلى قلبه فأخذ يقرأ الساعة بعد الشروق وكلما انتهى من سورة ركع وسجد.. كانت هذه هي عادته ولكنه في حياته لم يزد في قراءته عن الشروق، بعد ساعة أخرى أغلق المصحف الشريف وراح يغمض عينيه فالموعد قد اقترب.

أسرع خطواته وهو يردد يا قوى إلى الجامعة كان يعلم أن هذا

الموعد سوف يأخذه من عمله ولكنه يستطيع أن يتأخر عن عمله بعض الشيء اليوم خاصة أنها ليست المرة الوحيدة الذى يختلف فيها إلى الجامعة وما هى إلا ساعة أخرى حتى وجد نفسه أمام النتائج وكانت فريدة أول من ذهب ليرى نتيجتها وهناك انشرح صدره.. جيد.. الحمد لله.. واتخذ مواصلة إلى كلية الهندسية وملح ابنه بعيداً وهو سعيد فأدرك أنه لابد وقد نجح ولكنه لم يكن يدرك إلا أنها نتيجته هو لا نتيجة ابنه وملحها جيد جداً.. الحمد لله يا القوى.. كانت رحلة الإياب سعيدة.. كان منتشى منشراح الصدر.. أدرك شيئاً بعد أن تذكر اليوم الصبح الذى ذهب فيه إلى الجامعة ليراجع نتيجته كان مثل هذا اليوم الصبح وكان يسير فى نفس الشارع وهنا أدرك نفس شعوره وهتف من أعماقه (أنا إنسان محترم) كم كان وقع الكلمة جميلاً على أعماقه.. كان يريد أن يكلل حياته بعمل جميل فارق وقد أحصى أن فى حياته على الأقل عشرة مواقف فاصلة استطاع أن يجتازها بنجاح وأن هذا الموقف بالذات هو تتويج ممارسته للقوة طوال أكثر من أربعة عقود فى حياته.. وكانت نهاية قوته أنه استطاع أن يكون أسرة صالحة بقوة فى زمن

صعب وأنه استطاع أن يصنع للمجتمع مهندس وطبيبة وأن هذه هي نهاية انسان قوى.. وهنا هتف (أنا إنسان محترم) اكتسحه الهدوء وعلى الفور رأى سلمى من أمامه فلاشك أن الابنين لديها الآن ولاشك أن الابنين يعلمان أن الأب راح إلى الجامعة ولكنه ككل عام لا يحب أن يراه أحد وقبلها من رأسها وأطلق لنفسه عنان الراحة والصعداء.. كان الطريق في شدة الازدحام ولكنه كعادته لم ير أى شىء يستحق الضجر، كان كل شىء عادى مهما كان الزحام فهناك تفهم الزحام وهناك الرحمة وهناك الطمأنينة.. عبر طريقه عبر المواصلات وهو في قمة الهدوء وفي نفسه أصداء هذه الجملة القوية الراشقة أنا إنسان محترم.

دخل ديوان الضرائب في هدوء.. جلس في مكتبه وقد أمر الكثير بألا تُدخل إليه إلا من هو ضرورى سواء من أشخاص أو من أوراق.. ابتسم ابتسامة الواثقين وهو يسند ظهره إلى الكرسي الفاخر وقد احاطتا عيناه بكل أجزاء حجرتة، داعبته فكرة لطالما أراد أن ينفذها. كان منذ وقت طويل يريد أن يخاطب ملكة إنجلترا ليلفت النظر إلى فكرة من أفكاره مرتبطة بهدية الأب منذ الزمن البعيد وكانت

المناسبة مواتية في حينها وهى وفاة الأميرة (ديانا) أميرة ويلز.. وقد سمح له هدوءه وثقته بنفسه أن يتجاوز مرحلة نفسية عميقة هى أن جلالة الملكة كانت على رأس الحكومة التى تحتل مصر ولكن الزمن قد دار وانتهى الاحتلال البريطانى.. واندثر الاحتلال الصهيونى فى سيناء إلى غير رجعة ومصر قد تحررت والمناسبة سعيدة وقد كانت تلك أمنية منذ زمن بعيد فلم لا؟

وفى لمح البصر أمسك بورقة وقلم وكتب رسالة مطولة قدم فيها العزاء إلى جلالة الملكة فى وفاة الأميرة (ديانا) وسمح لنفسه كمواطن فى هذا العالم بأن يُحيى بريطانيا على أنها من أعرق دول العالم فى كل شىء خاصة حقوق الإنسان وأن اللبى كان مخطئاً عندما ركل قبر صلاح الدين وأن الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس مازالت لا تغيب عنها الشمس (بهاملت) لأن هاملت فى مكنتات الصين وتمتد إلى أقصى غرب الولايات المتحدة وأن شكسبير فخر بريطانيا وأن الاحتلال زال ولكن شكسبير مازال موجوداً وأنه استطاع كبريطانى ومسيحى مخلص أن يحقق مقولة الإمبراطورية التى لا تغيب عنها الشمس وأن أميرة الحب والورود (ديانا) قد

ماتت في حادث أليم ولكن الحب مازال موجوداً في كل القلوب..
وفي نهاية خطابة المطول المكتوب باللغة العربية أبرز أمله في أن
ترد جلالة الملكة على رسالته وعزاءه.

كانت هذه أمنيته منذ زمن طويل أن يرسل ملكة بريطانيا
بالتحديد كأنه يشارك في زوال الاحتلال الذي قام به الشعب المصرى
منذ الاحتلال منذ عام ١٨٨٢ م حتى انتهى بحركة الجيش وثورة
الشعب معاً عام ١٩٥٢ م مروراً بحرب التحرير في القناة عام ١٩٥١ م
وقد وجد الفرصة سانحة، وفي ملح البصر أمهر الخطاب وأغلق
المظروف وألصق الطابع.. كان كل شيء هادئاً في مكتبه خاصة أن
السكرتيرة التى تعرف عملها جيداً عزلته اليوم عن الوجود رغم أنها
لا تعلم السر الذى من خلاله جاء متأخراً اليوم على غير عادته..
كان يفكر في هدية إلى ابنه وفي ملح البصر قرر، سيشتري لماجد
قلم حبر فاخر ولفريدة وشاح جميل على أن تكون هاتان الهديتان
مؤقتتين لكل منهما وأيضاً لسلمى هدية منفصلة كما يريدون..
وفي غضون ساعة كان تاركاً مكتبة إلى البيت حيث الاحتفال بهذا
الإنجاز الرائع.

وكعادته كان رحيماً في المواصلات برغم ازدحامها وفي سرعة
اختلف إلى وسط البلد حيث اشترى الهديتان ومع الهديتان وشاح
آخر لسلمى بلون السمار.. كان كل شيء يصرخ ولكن قلبه كان
كعادته مطمئناً فلم يلمح من المواصلات الازدحام بل زادت زحمة
حتى بينته.

كان الاستقبال حافلاً فقد أعدت سلمى كل شيء الجاتوه
والشاي وجاءت الهدايا لتُسعد الأسرة البسيطة وقلبه مازال يردد
(أنا انسان محترم)

بعد الحفل مباشرة كان عليه أن يطمئن أصدقائه في قهوته
في عابدين.. وجاءت الأفراح من كل صوب كانت هناك خمسة
نجاحات من خمسة وهكذا جاء دور الشطرنج لأنه لا يلعب إلا
الشطرنج دوراً ساخناً.. كان يلعب بينما نفسه في حياتها الخاصة..
كان سعيداً لأنه استطاع أن ينجح لأنه أستطاع أن يحفر طريقاً في
حياته في مجتمع صعب وفي منطقة يسميها العالم.. العالم الثالث..
كانت أوراق عمره كلها كبيسة ولكنها مهرها وأعاد ترتيبها لينظم
لها قصيدة شعر جميلة تكون نبراساً له ولكل من حوله. لم يرضى

أن يكون كومبارس في الحياة فعاندها وأجرها على أن تطيعه
وأخذ يردد نفسياً على صمته أن الإنسان يستطيع فقط إذا أراد أن
يستطيع.

في المساء بعد العشاء الخفيف كانت سهرته جميلة مع سلمى
وقد أشرقت بابتسامة راقية ثم كان ما كان بينهما من عشق فريد..

انتهى يوم الصمت

فهرس المحتويات

obeikandi.com

- (1) أوراق العمر 5
- (2) الكومبارس 24
- (3) أ - المُنْغامِرَة 41
- (4) لا 70
- (5) سعاد تدق الأجراس 115
- (6) وحيد 137
- (7) الساعة 162
- (8) الصامت 218